وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : العلوم الإنسانية

حملة أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان 1590 – 1591م

مذكرة نهاية الدراسة لنيل شهادة الماستر في :

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالب: إشراف الأستاذ:

– أحمد عوالية . – عيسى بوقرين.

السنة الجامعية :2015/ 2016.

إهداء

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى قرة عيني محمد صلى الله عليه وسلم

إلى مدرسة البذل والعطاء والعطف والحنان رمز الحب

والوفاء.....**أمي الغالية** "أطال الله في عمرها

إلى من أنار قلبي وشق دربي وكان لي نعم العون أبي الحنون أطال الله في عمره

إلى فخري وإعتزازي:إخوتي .

إلى أجدادي: الحاج ع القادر. خيرة. الحاجة دنية إلى روح جدي الغالي محمد) .

إلى الأعمام والأخوال وزوجا تهم

إلى جميع الأصدقاء خاصة " ناصر- العربي - محمد - بن شهرة "

إلى شريف محمد حسين والأستاذة شعبان

إلى طلبة قسم التاريخ

إلى أرواح شهدائنا الأبرار

إلى حفظة كتاب الله

إلى الشعب الفلسطيني المجاهد

أحمد عوالية

شکر وعرفان

شكر وعرفان

قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ النمل

بادئ ذي بدء الحمد لله عز وجل كثيرا على عونه وتوفيقه وعظيم نعمته الذي وفقني لانجاز هذا العمل المتواضع والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير والامتنان إلى أستاذي المشرف بوقرين عيسى الذي شرفني بقبوله المتابعة والإشراف على هذه المذكرة وبفضل إرشاداته المتميزة وتوجيهاته الصائبة من أجل إعداد هذا البحث منذ البداية إلى أن أصبح على النحو المقدم عليه.

كما أتقدم بشكري الجزيل إلى كل من ساهم في إنجاز البحث ولو بكلمة طيبة،و أتقدم بالشكر الخالص إلى قسم التاريخ بجامعة عمار ثليجي بالأغواط، أساتذة ومسؤولين وخاصة عمال المكتبة .

ولايفوتني توجيه الشكر إلى الطاقم التربوي بثانوية خامد عامر "ببريدة "

أحمد عوالية

م قدمة

مـقدمـة :

عرف المغرب الأقصى تحولات عميقة مع مطلع القرن السادس عشر ميلادي و كان من مظاهر هذه التحولات التفكك السياسي لدولة المرينيين و الوطاسيين ، و ظهور القوى السياسية والدينية في السعديين و العلويين .

حيث إستقر الأمر عند عهد الدولة السعدية في نهاية القرن السادس عشر وذلك بعد معركة وادي المخازن بين الدولة السعدية والبرتغال في : 04/ 08 /1578 م

وقد كان من أبرز نتائج هذه المعركة مبايعة أحمد المنصور كسلطان على المغرب بعد وفاة أخيه عبد الملك المعتصم .

كما أن الدولة السعدية عرفت أزهى فتراتها وعظمتها في عهد السلطان أحمد المنصور الذهبي الذي نصب نفسه خليفة للمسلمين وعمل على توحيد المغرب وردع الأطماع الأجنبية فدخلت البلاد مرحلة الاستقرار والتوسع والبناء والتجديد من الناحية السياسية والعسكرية ، كما استطاعت الدولة إقامة العديد من العلاقات مع العديد من الدول في هذه الفترة .

ولعلى أهم ماميز فترة حكم السلطان أحمد المنصور الذهبي الحملة التي وجهها إلى السودان سنة 1591 م ، ولذا إرتأيت أن يكون موضوع مذكرتي موسوم ب :

حمله أحمد المنصور الذهبي على السودان

1/ دوافع إختيار الموضوع :

لقد إجتملت مجموعة من الدوافع لإختياري لهذا الموضوع ولعلى أهمها :

أ / معرفة التغيرات التي طر أت على الدولة السعدية بعد واقعة وادي المخازن ووصول أحمد المنصور إلى سدة الحكم .

ب/ التعرف على الدوافع الحقيقية لحملة أحمد المنصور الذهبي على السودان والنتائج المترتبة عليها . د ج/التعرف على شخصية السلطان أحمد المنصور الذهبي بصفته أول خليفة عربي مسلم والوقوف على الإصلاحات التي قام بها في المجال السياسي والعسكري .

د /التعرف على علاقات الدولة السعدية مع الدول الأوربية عامة و الدولتين الإيبريتين خاصة وكذلك الدولة العثمانية وهذا بعد أن قويت شوكة الدولة السعدية وإزدادت هيبتها بين الدول الكبرى وأخذت العلاقات مجرى آخر غير الذي كانت عليه .

هـ / وفرة المصادر والمراجع التي تتناول هذا الموضوع .

2/ الإطار الزماني للدراسة :

الإطار الزماني لهذا الموضوع يبدأ بعد معركة وادي المخازن أي بعد سنة 1578 م ومبايعة أحمد المنصور كسلطان على المغرب إلى غاية الحملة الثانية على بلاد السودان سنة 999هـ / 1591م.

أما الإطار المكاني فيشمل كل من المغرب الأقصى (الدولة السعدية أنذاك وتوسعات أحمد المنصور الذهبي بإتجاه الأقاليم لمجاورة .

3/ إشكالية الدراسة :إحتوى موضوع هذه الدراسة على مجموعة من الأسئلة الجوهرية والتي تمثل إشكالية البحث وهي :

- ماهي تداعيات حملة السلطان أحمد المنصور على بلاد السودان ؟ وما النتائج المترتبة على الحملة بالنسبة الطرفين ؟

- بماذا تميزت شخصية أحمد المنصور الذهبي ؟ وماهي إصلاحاته السياسية والعسكرية ؟
- بماذا تميزت العلاقات الخارجية للدولة السعدية في عهد السلطان أحمد المنصور مع الدول الأوربية والدولة العثمانية ؟

4/ الدراسات السابقة :

يعد موضوع حملة السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان من المواضيع التي جذبت اهتمام المؤرخين والباحثين لكن لا توجد دراسات سابقة تتناول هذا الموضوع بصفة خاصة باستثناء مذكرة بعنوان العلاقات الخارجية للدولة السعدية خلال القرن (10هـ/ 16 م) للطالبتين زيوان سمية وخنشة صياح تكلمت بعض الشيء عن هذه الحملة .....الخ

5/ المنهج المعتمد : لقد إتبعت في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ،بإعتباره المنهج الصالح لوصف الأحداث والحقائق التاريخية وتحليلها تحليلا تاريخيا ، يمكننا من الإجابة على التساؤلات المطروحة .

6/ الخطة المعتمدة : لقد إرتأيت أن أعالج موضوع حملة أحمد المنصور على السودان وفق الخطة التالية :

مقدمة ، وحتى تتم الإجابة على التساؤلات السالفة الذكر قسمت المذكرة الى ثلاثة فصول عنونت الأول ب شخصية أحمد المنصور وإصلاحاته السياسية والعسكرية وقسمته إلى ثلاثة مباحث ، بينما تناولت في الفصل الثاني العلاقات الخارجية للدولة السعدية في عهد أحمد المنصور وتقسيمه هو الآخر إلى ثلاثة مباحث في حين جاء الفصل الثالث تحت عنوان حملة أحمد المنصور على السودان وتقسيمه إلى ثلاثة مباحث .

وختمت الموضوع بخاتمة إشتملت على أبرز النتائج التي خلصت إليها في البحث وألحقت الخاتمة ملاحق خاصة بالرسائل التي جرت بين المنصور وبعض الدول بالإضافة إلى بعض الخرائط ، ثم قائمة شملت المصادر والمراجع المعتمدة والفهارس .

7/ التعريف بأهم المصادر والمراجع المعتمدة : إعتمدت في إعداد هذه الدراسة على عدة مصادر ومراجع أفادتني في وضع الخطة وقدمت لي الكثير من المعلومات ويمكن ذكر البعض المهم منها :

- كتاب مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء لمؤلفه عبد العزيز الفشتالي بحيث يعتبر أهم المصادر بصفة مؤلفه من المقربين للمنصور .

- كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لمؤلفه محمد الصغير الأفراني كما يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب التي تكلمت عن تاريخ المغرب الأقصى

- كتاب تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية :لمؤلفه المجهول يتكلم هذا الكتاب على الفترتين الوطاسية والسعدية 10هـ / 16م .

- كتاب الإستقصاء لدول المغرب الأقصى، الجزء الخامس ، لأحمد بن خالد الناصري حيث يسرد بعض الحقائق التي تكلمت عليها المصادر الأخرى

- كتاب المغرب في عهد الدولة السعدية :للمؤلف عبد الكريم كريم بحيث يعتبر هذا الكتاب من أروع الكتب التي تكلمت عن تاريخ المغرب الأقصى .

- كتاب المغرب عبر التاريخ :للمؤلف إبراهيم حركات ويعد من بين المراجع التي تكلمت عن تاريخ المغرب لكنه مختصر .

8/ الصعوبات المعترضة : لكل عمل صعوبات تعتريه ولكل باحث صعوبات تعترضه ومن بين الصعوبات التي واجهتني :

* انحصار الموضوع في مدة زمنية قصيرة الأمر الذي إستغرق وقتا وجهدا كبيرين.

* صعوبة التعامل مع المادة الأولية التي تضمنتها المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع خاصة كتاب الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ومناهل الصفا وكذلك كتاب تاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي .

*صعوبة الربط بين الأفكار لتعدد المصادر التي تكلمت على هذا الموضوع

وفي الأخير فإن كل عمل لايخلو من النقائص مهما كمل

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يقر بطيب العيش إنسان

هي الأمور كما رأيتها دول من سره زمن ساءته أزمان

الفصل الأول

شخصية أحمد المنصور وإصلاحاته السياسية والعسكرية

المبحث الأول: شخصية أحمد المنصور

المبحث الثاني: الإصلاحات السياسية

المبحث الثالث: الإصلاحات العسكرية

الفصل الأول : أحمد المنصور الذهبي وإصلاحاته

المبحث الأول : شخصية أحمد المنصور

هو أحمد بن أبي الشيخ المهدي ولد بفاس سنة (956هـ) من أم تدعى مسعودة بنت أحمد الوزكيتي الو رزازي .[1]

كانت ولادة السلطان أبى العباس أحمد المنصور بالله أبى عبد الله الشيخ سنة ست وخمسين وتسعمائة وأمه الحرة مسعودة بنت الشيخ الأجل أبى العباس أحمد بن عبد الله الوزكيتي الو رزازي ،وكانت من الصالحات الخيرات .

نشأ المنصور رحمه الله في عفاف وصيانة وتعاط للعلم ومتافنة أهله عليه ،وكانت مخايل الخلافة لائحة عليه من لدن عقدت عليه التمائم إلى أن تم أمره .[2]

أما فيما يتعلق بصفات المنصور فلقد تعددت المصادر والمراجع وأجتمعت على مايلي ذكره .

لقد جاء في كتاب تاريخ الدولة العباسية التكمدراتية لمؤلفه المجهول في وصفه لأحمد المنصور فيقول وصفته أسمر اللون غاثر العينين وافر اللحية له شرطات على خده الأيسر ،غليظ الجسم ،جهر الصوت.

له لثة في كلامه يبدل الشين سينا،وافر الثياب يسحبها على الأرض ،حتى تغطي أقدامه وكان في المشي يكاد يطأ على كعبيه ،وكان له في الملك بخت عظيم .

ترك الجهاد وأخذ السودان وتذخر منه ،كمل البساتين بالبناء[3] .

---

[1] إبراهيم حركات ،**المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين** ،مج2،ط1،دار الرشاد الحديثة ،المغرب،1978،ص296.

[2] أحمد بن خالد الناصري ،**الإستقصاء لدول المغرب الأقصى :الدولة السعدية** ،ج5،تح :جعفر الناصري ومحمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1955 ،ص 89 .

[3] مؤلف مجهول ،**تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية** ،تح :عبد الرحيم بنحادة ،ط1،عيون المقالات ،مراكش ،1994،ص 63 .

كان مولعا باالبناء فبنى البديع [1]وكان كثير الجور والجوار ،فسدت في أيامه البوادي وربح أهل المدن والجيش[2] .

ويقول الإفراني في وصفه كان رحمه الله طويل القامة ،ممتلئ الخدين ،واسع المنكبين تعلوه صفرة ،رقيق البشرة –أدعج- أسود الشعر،أكحل العينين ،ضيق الفم ،براق الثنايا ،جميل الوجه ،مليح الصورة ،ظريف المنزع ،لطيف الشمائل حسن الشكل[3]

كان السلطان أحمد المنصور: واسع الثقافة جمع بين الثقافة التقليدية والخبرة بالمسائل العصرية والدبلوماسية والإدارية قرب من العلماء المغاربة حتى وصف بأنه خليفة العلماء وعالم الخلفاء[4] .

ويضيف أحمد بن خالد الناصري في وصفه للمنصور كان رحمه الله طويل القامة ممتلئ الخدين ،واسع المنكبين ،تعلوه صفرة رقيقة ،أسود الشعر ،أدعج ،أكحل ضيق البلج براق الثنايا حسن الشكل ،جميل الوجه ،ظريف المنزع ،لطيف الشمائل.

كانت بيعة أحمد المنصور بعد الفراغ من قتال النصارى بوادي المخازن يوم الإثنين نهاية جمادى الأولى سنة ست وثمانين وتسعمائة ،إجتمع إليها من حضر هناك من أهل الحل والعقد ،ثم لما قفل المنصور من غزوته تلك ودخل حضرة فاس يوم الخميس عاشر جمادى الآخرة من السنة المذكورة ،حيث جددت له البيعة بها ووافق عليها من لم يحضرها يوم وادي المخازن ،ثم بعث إلى مراكش وغيرهامن حواضر المغرب وباديه ،فأذعن الكل للطاعة ،وسارعوا إلى الدخول فيما دخلت فيه الجماعة .[5]

[1] **البديع** :دار مربعة الشكل وفي كل جهة منها قبة رائعة الهيئة تعد من أحسن المباني وأعجب المصانع وعموما فإن هذا البديع كان من المباني اللامتناهية البهاء والإشراق (أنظر :أحمد خالد الناصري ، المصدر السابق ، 135 . و أنظر كذلك الملحق رقم 01 ص 67 .

[2] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ،ص 63 .

[3] محمد الصغير الوفراني ،**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ،تح :عبد اللطيف الشاذلي ،ط1،مطبعة النجاح ،الدار البيضاء ،1998 ،ص 146 .

[4] محمد خير فارس ومحمود علي عامر ،**تاريخ المغرب العربي الحديث** (المغرب الأقصى ،ليبية)،ج1، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق ،(د، ت) ، ص 56.

[5] أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 91 .

وهذا مايؤكد أن أحمد المنصور بويع بوادي المخازن غداة الموقعة (معركة وادي المخازن التي دارت بين المغرب والبرتغال سنة 1578) والتي كان النصر فيها حليفا للمغرب ثم جددت البيعة بفاس التي توافد عليه أعيانها وأعيان مدينة مراكش وغيرها ،حيث كانت هذه البيعة بفاس بعد مرور عشرة أيام على قدومه إليها ،والظاهر أن الخليفة أحمد المنصور عجل بالذهاب إلى فاس قبل مراكش ،خشية أن تحدث بها ثورة ضده .

ولم يكد يستقر بفاس حتى توافدت عليه وفود من أوربا والبلاد الإسلامية ،وقد قدمت له الهدايا النفيسة من طرف هذه الوفود.

السياسة الإدارية للمنصور :

كان المنصور مشهورا بحزمه وتتبعه لأخبار الرعية وقد أسس مجلسا للشورى ،كما كان يجتمع كل يوم الأربعاء وقد سماه الديوان ،ويعد الخليفة أحمد المنصور أول من إستعمل المنصورية في لباسه ثم شاع إستعمالها بين الفقهاء والوجهاء كانت والدته ذات شغف للمدن والعمران والبناء ،وأوعزت إليه ببناء عدة منشآت و كان شديد الحنو على أولاده وقد إتخذ المولد النبوي الشريف كعيد رسمي .

كانت له علاقات طيبة مع عدة دول .

كان الخليفة المنصور إداريا ممتازا لايقبل تهاونا في الرد على العمال والولاةحتى أنه كان يلزم الكتاب بالحضور والخروج من مكاتبهم في أوقات معينة ،كما كان ذات طموح بالغ حتى قيل أنه قد راودته فكرة غزو إسبانيا [1]

إقترن إسم المنصور بالذهب لكثرة ماجمعه من ثروات خاصة بعدعمليته الضاربة على السودان وبلاد غانة (1590- 1591) في عهده عرفت الدولة السعدية فترة مجدها وعظمتها .[2]

[1] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 297 .

[2] ليندة الأرقش و آخرون ، **المغرب العربي الحديث من خلال مصادره** ، مركز النشر الجامعي ، مدياكوم ،2003 ، ص 162- 163 .

كان عالما وفقيها أخذ النحو والأدب ومواد اللغة عن العديد من العلماء من بينهم محمد الحارثي ،كما أخذ الفقه على عن أبي عمران السوسي وقرأ على أساتذة آخرين وكان يجمع بين علوم كثيرة ،كما كان يقرض الشعر ويتذوق فنونه.[1]

وفي جمادى الأولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة مرض المنصور مرضا مخوفا وطال به حتى كادت الأمور تختل ثم تداركه الله على يد الحكيم الماهر عبد الله محمد الطبيب ولما أبل من مرضه أحسن إلى الطبيب المذكور ونثر عليه يوم خروجه من الخلع مالا يحصى وكان يوم خروجه يوما مشهودا ووفي ذلك يقول الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن علي الهوزالي المعروف بالنابغة :

تردى أذى من سقمك البر والبحر وضجت لشكوى جسمك الشمس والبدر

وبات الهدى خوفا عليك مسهدا وأصبح مذعور الفؤاد الندى الغمر

فلما أعاد الله صحتك التـي أفاق بها من غمه البدو والحضر

تراءت لنا الدنيا بزينة حسنها وعاد إلى إبانه ذلك البشر

إلى آخر بيت في القصيدة إذ يقول

بقيت لهذا الدين تحمي ذماره ويحميك رب العرش مابقي الدهر [2]

[1] ابراهيم حركات، المرجع السابق ، ص 297 .

[2] أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 92 .

المبحث الثاني : الإصلاحات السياسية

منذ تولية أحمد المنصور مقاليد السلطة تسمى بالخليفة المنصور ،تخليدا لإنتصار المسلمين في معركة

واد ي المخازن من جهة ولأن الحكام السعديين لأصلهم العربي ونسبهم الشريف كانو يعتبرون دولتهم من جهة ثانية بعثا وتجديدا للخلافة الهاشمية المنقرضة وبأنهم أحق بخلافة المسلمين من الأتراك العثمانيين ،اللذين هم من جملة المماليك والموالي الذين دافع الله بهم عن المسلمين وجعلهم حصنا وسورا للإسلام ولقد اتخذ المولى أحمد كل ألقاب الخلافة فهو أمير المؤمنين وإمام الجماعة وركن الإمامة والخليفة المخصوص بتراث الرسالة ومالك إمرة المؤمنين .

كما استعمل المنصور جميع شاراتها مع ذكر اسمه في خطب المساجد أيام الجمعة والأعياد وضربه على السكة والنقود ثم الجلوس على أريكة الملك ولبس أبهى الحلل وأفخمها ،كما أعطى لبلاطه وحكومته من المظاهر والصفات ما يؤكد قوته وعظمته ويجعله جديرا بإمامة المسلمين وخلافتهم العظمى

وقد عمل المنصور على إنشاء جهاز إداري وسياسي قوي حتى أن الحكومة التي أنشاها كانت تضم شخصيات ذات مستوى رفيع من الكتاب والفقهاء ،حيث كانت عناية المنصور بضبط أعمال مساعديه تفوق عناية أسلافه من ملوك الدولة السعدية فكان يحاسبهم على عدم المحافظة على أوقات العمل الرسمية والتأخر في الرد على المراسلات الإدارية والسياسية،كما كان يعين كل سنة من يتفقد أحوال الرعية ومن ينهي أمرها بحضرته ويأخذ العهد من خواصه وجلاسه ،كما كان يتولى بعض هذه الأمور بنفسه فيركب ويشق مراكش يتفحص في ركوبه عن أحوال رعيته ويتوصل إلى شكيته ،ومن أعماله إحداث حروف شيفرة بعدد حروف المعجم سميت (الزمام)[1]

[1] أحمد ابن القاضي ،**المنتقى القصور على مآثر الخليفة المنصور** ،ج1،تح:محمد رزوق ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1986 ، ص 222-221 .

وهي خاصة بالمراسلات السرية حتى لاتعرف فحواها إذا وقعت في أيدي العدوا وكان إذا غادر أحد أبنائه أو مساعديه المقربين العاصمة سلم إليه نسخة منها حتى تمكنه من فك رموز الخطابات الملكية[1].

وباستثناء بعض الجهات التي كانت تدين الولاء للسلطان السعدي وتحتفظ باستقلالها في أماكن نائية من الإمبراطورية فإن جميع الجهات الأخرى زودت بأجهزة إدارية يعين مسؤولون عنها في الغالب من المناطق الجنوبية والقريبة نسبيا من العاصمة كبعض العناصر السوسية والدرعية والفيلالية.

وعلى العموم فقد تميز عهد المنصور الذهبي بتقسيم جديد للمناطق الإدارية التي تتميز بضخامة رقعتها واستمر هذا التقسيم من سنة (1585- 1670) أي إلى حين إنهيار الدولة السعدية وقيام العلويين ،بقطع النظر عما وقع من تمزق في السلطة وتوزيعها بين عدد من الأشخاص والحركات الثائرة وكان المنصور ينيب على هذه الأقاليم أبناءه ومن يتمتعون بثقته وسلك سلكه في عدله.

وعلى مايبدو أن الولايات التي كان يتولاها أبناء المنصور كانت تتمتع بصفات خاصة أبرزها أن الأمير كان مطلق الصلاحيات وأن إدارته كانت تشبه إلى حد بعيد إدارة والده المركزية بمراكش .

كما أن الامير كان يجند قوات مسلحة يتخذها من قبائل إ قليمية للمحافظة على الأمن وتسيير شؤون البلاد وبما أن الملوك السعديون كانو قد درجو منذ تأسيس دولتهم على اتخاذ فاس[2] مقر لولي العهد وهذا راجع لأهميتها الدينية والعلمية وكمركز حضاري هام لايقل أهمية على العاصمة مراكش [3].

---

[1] عبد العزيز الفشتالي ،**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء** ،تح :عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ،الرباط ،(د،ت) ، ص 161 .

[2] **فاس**: مدينة مغربية احتلت مكانة الصدارة في الميدان العلمي خاصة أثناء الفترة (1509- 1578) سواء في العهد الوطاسي المتأخر أو بعد ما دخلت تحت سلطة العهد السعدي سنة 1549 م (أظر :محمد حجي ،**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ج2 ،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،المغرب ،1978 ، ص 345 .

[3] **مراكش** :مدينة عظيمة تقع في أحسن موق بإفريقيا كلها على بعد خمسة فراسخ أوستة من جبل الأطلس وتحيط بها أجود أقاليم موريتانيا الطنجية ،أسسها إبن تاشفين أول ملك مرابطي أولمتوني حوالي عام ألف إثنين وخمسون للميلاد ويرجع بعضهم أصل تأسيسها إلى أقدم من ذلك فينسبونه إلى دارمون ابن معاوية (أنظر : ما رمول كاربخال ،**إفريقيا** ،ج 2 ، تر: محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1984 م ، ص 46- 47 .

لذا فقد عين المنصور منذ تولية ابنه محمد الشيخ وكان لايزال صغيرا على ولاية فاس وجعل معه من يساعده على تدبير الأمور ولما كبر أصبح المتصرف المطلق في المدينة وإقليمها وبديهي أن الغرابة من ذلك تدريب ولي العهد على ممارسة شؤون الإدارة والحكم وتهيئته لتحمل المسؤولية الكبرى في المستقبل .

ومن مبتكرات المنصور الذهبي في طرق البيعة لولي العهد أن يؤدي المبايعون يمين البيعة أمام كتاب الله وصحيح البخاري ومسلم ،وبذلك يكون استعمال الصحيحين أوحدهما ليمين البيعة سابق لعهد مولاي إسماعيل بما ناهز قرنا .

وعلى العموم فقد قسم أحمد المنصور الذهبي إمبراطورتيه إلى اثنتي عشرة ولاية وهي : مراكش- سوس – تادلة - مكناسة – تاسنا – درعة – تافيلالت – الصحراء – تيكورارين – الطوارق والسودان

أما بالنسبة لهذه الأخيرة فقد جعلها المنصور باشوية وولى عليها قادة عسكريين حمل كل منهم لقب باشا بيدهم كل السلطات العسكرية والسياسية ،فاتخذت ولاية السودان لأجل ذالك طابعا عسكريا محضا [1].

وقد كانت السلطة السياسية للدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي تتكون من:

الحاجب: وهو المسؤول الأول في حكومة أحمد المنصور الذهبي والواسطة بينه وبين الكتاب ،فالحاجب هوالمكلف بين الخليفة وباقي كبار الدولة .

كاتب السر : وهو الذي يحافظ على سر الدولة حتى لايطلع عليه الأجانب وإن كانو أحباب من كل حبيب وأقرب من كل قريب ويؤمن الاتصال بين الخليفة وجميع الولايات ومن الولاة إلى الخليفة وهو الذي يتولى قراءة الرسائل ومعرفة مضمونها[2] .

[1] أحمد ابن القاضي ،المصدر السابق ، ص 223- 224 .

[2] عبد الكريم كريم ، **المغرب في عهد الدولة السعدية** :دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية والمظاهر الحضارية ،ط3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، 2006 ، ص 230 .

أصحاب المشورة :ويقصد بها الهيئة الاستشارية التي كانت تتكون من طبقات الأجناد وأهل الحل والعقد وأولي البصيرة والحنكة وخبرة الأمور كما كان أحمد المنصور الذهبي يرجع إلى عقد مجالس الشورى لأخذ رأي من يهمهم الأمر من كبار دولته في بعض الأمور التي ينوي الإقدام عليها ،وذلك كما حصل في غزوه لبلاد السودان.

صاحب المظالم: وهو الذي يتلقى شكاوي المظلومين ويرفعها إلى الخليفة أحمد المنصور الذهبي ليبث فيها ،وغالبا ماكان الخليفة ينظر فيها بعد صلاة يوم الجمعة [1].

فكان إذا فرغ من الصلاة جلس للنظر في شأن رعيته وشكاويها والفصل ورفع ظلمات ظلم الظالم عنها إلى أن يصلي العصر تارة يكون ذلك على قبر والده وتارة بالمقصورة وتارة بالبديع وقد يستمر به الجلوس في بعض الأيام إلى صلاة المغرب بحيث كان المنصور لايأبو فيما طوقه الله جهدا ولايلوى عنه عزما قصدا.

وقدكان المنصور حريصا على إقامة الحدود إلى حد كبير وأما إقامة الحدود على من وجبت فلم يبال في ذلك بأحد ولم يلحقه أحد في حق الله تعالى لومة لائم فينصف الحق ولو من نفسه وأبنائه وأقاربه أيده الله تعالى وخدمة يمسكون من وجب عليه حق ويحمل من كل مكان ولو كان ببابه العلية إلى الحضرة الشرعية ،فحكم الله جار عليه من قصاص وغيره من الحدود الواجبة الثابتة وكثيرا ماتعرض لبعض الناس محاكمة معه في أمر الأمور مسلما كان أو كافر ،فيعين وكيلا ينوب عنه ويتحاكم مع بعض من ذكر ،فتارة يكون الحق معه وتارة عليه حتى لاينقصه منه شيئا واحدا . [2]

القاضي والمفتي: كان القضاء في عهد السعديين خاصا بالمدن وبعض القرى المهمة التي تتوسط قبائل كبيرة يتولاه أكابر الفقهاء بظهير من الملك نفسه ويمتد نفوذ قاضي المدينة الى ضواحيها القريبة وأحيانا إلى الإقليم كله ويسمى كل من قاض فاس ومراكش قاض الجماعة ويعين إلى جانب القاضي

[1] عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ، ص 230 .

[2] أحمد ابن القاضي ، المصدر السابق ،ص 225- 226 .

يرجع إليه الخصوم مسبقا لمعرفة الأحكام الشرعية المتعلقة بقضاياهم أويعرضون عليه أحكام القضاة التي لا ترضيهم ليصححها أويفتي ببطلانها فكان المفتي بمثابة الخبير القانوني والمراقب للأحكام أوقاضي الاستئناف ،ولو لم يكن من حقه إصدار أحكام إلزامية حتى أن درجة المفتي أكبر من درجة القاضي ماديا ومعنويا .

وإذا كان القضاء المغربي قد تمتع بسمعة عالية عبر التاريخ الإسلامي ،فإنه في العهد السعدي عرف أجمل حقبة أيام المنصور بالذات وهكذا كانت مسؤوليات القضاة محترمة لا تتدخل فيها السلطة التنفيذية ،وكان في المستوى الأعلى لهذه المستويات قضاء المظالم الذي كان يمارسه العاهل السعدي نفسه مع وجود ديوان للمظالم كانت مهامه تقنية إدارية أكثر منها قضائية .

وقد أجريت مقارنة بين القضاء الأوربي والقضاء المغربي في القرنين 16-17م فبينت أنه في الوقت الذي كانت أوربا في العصر السعدي يحتفظ الملوك فيها وحدهم بحق الحكم في عددمن القضايا ،فإن الملوك السعديين لاينظرون إلا في القضايا المرفوعة ضد رجال السلطة ،وهذا ما كان يدعى بقضاء المظالم.

ولا مراء أن المنصور كان أحرص ملوك الدولة السعدية على النظر في المظالم حتى أنه كان يرأس مجلس المظالم في مقصورة جامع القصبة بمراكش بجوار قصره أو بضريح السعديين بنفس المكان وما كان يتخلف عن هذه المهمة حتى أيام اجتماع الديوان وإذا إنتقل إلى فاس حضر مجلس المظالم الذي تساهم فيه شخصيات قضائية أوفقهية على مستوى عال من المعرفة بأحكام الفقه والقضاء ومع هذا لم يكتفي المنصور بالنظر في المظالم بل أنشأ لجنة للمراقبة تتولى النظر بصفة دورية في مجرى القضاء بالأقاليم وأوضاع الفئات الشعبية بوجه عام وكان المنصور يدرس تقاريرهم بعناية حتى يتتبع سير الأحكام والإدارة بمملكته [1].

[1] أحمد بن القاضي ، المصدر السابق ، ص 226 – 227 .

وقد أحدث لأول مرة في العهد السعدي منصبا لقاضي القضاة خصصه للسودان نظرا لبعد المسافة بينها وبين العاصمة ويستقر هذا القاضي بتنبوكتو[1].

ولعلى أهم تجديد سياسي أدخله أحمد المنصور هو بدون شك إحداث مجلس إستشاري له تنظيمات واختصاصات محددة وقد سماه الديوان يجتمع أيام السبت والإثنين والأربعاء (اعلم أنه أيده الله قد سن في رعيته سنة إهتداء وانتهج فيها مناهج إقتداء وذلك كله من فعل عظماء السلاطين المهتدين فمما سن في ذلك ماتم ذكره أنه اذ صلى الجمعة تارة يجلس بمقصورة المسجد وتارة عند ضريح والده وتارة بقبته الخمسينية .

وكان يضم هذا الديوان قادة عسكريون ووزراء وقضاة وفقهاء وزعماء شعبيون وغيرهم وهو مستمد من الديوان التركي الذي كان موجودا في كل من الجزائر وتونس وكانت مهمته الأساسية مراقبة الباشا أي الوالي العام وتزويد الباب العالي بكل المعلومات الضرورية عن سير الأمور في الأيالة وكان الديوان التركي بالإضافة إلى ذلك أعلى هيئة قضائية حيث ترد إليه أحكام القضاة ،فضلا عن اهتمامه بالمسائل الإدارية والسياسية والخارجية .

وكان المنصور يعتبره أعلى مرجع قانوني للبلاد ويتنازل لأحكام قضاته لو كانت لغير صالحه .

وعندما يقتضي الأمر إستشارات على نطاق شعبي واسع يضاف إلى الديوان عناصر تمثيلية من مختلف المدن والمراكز القروية الكبرى،وقد نوه أحد المؤرخين الغربيين (لافيس) بمزايا الديوان المغربي الذي[2]. أنشأه السلطان أحمد المنصور في وقت كان مايزال في أوربا عصر الملكية المطلقة فبرغم من إنشاء مجالس ملكية لمساعدة الملك في مهامه ، يظل القول الفصل للعاهل

[1] **تنبوكتو** : مدينة تاريخية عريقة تقع في شمال جمهورية مالي على بعد ما يقارب 200كم شرقا مع الحدود الموريتانية كما أنها تقع في أحد فروع نهر النيجر ، تعد من المناطق التي دخلها الإسلام في عصور مبكرة وذلك عن طريق التجارة (أنظر : عبد الحكيم العفيفي ، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية** ، ط1 ، أوراق شرقية ، لبنان ، 2000م ، ص 177) .

[2] أحمد بن القاضي ، المصدر السابق ، ص 227 – 228 .

المبحث الثالث :الإصلاحات العسكرية

الجيش البري :

وحتى يتمكن المولى أحمد المنصور من إقرار دعائم الطمأنينة في البلاد ،وليضبط شؤون الإدارة والدولة ،أولى اهتماما كبيرا بالقوات المسلحة وزودها بالمعدات الحربية كما جعلها رهن إشارته باعتباره القائد الأعلى وبيده مقاليد الأمور .

وقد كان الجيش المغربي زمن المنصور على غرار الانكشارية عند الأتراك العثمانيين ،حيث عمد إلى تدريب العلوج والأندلسيين والسودانيين وكون منهم قوات نظامية تمكن بفضلها من إقرار الأوضاع الداخلية وقمع كل الثورات التي قامت ضده وتحقيق الكثير من أمانيه وخاصة المتعلقة منها بالتوسع في غربي إفريقية وبلاد السودان اصطفى من العجم موالي أنبتتهم نعمته ودربتهم تربيته فنجبت طوائف عديدة ليس منهم فتى إلا أضخم حالا وأعظم شأنا وجلالا .

وقسم الجند إلى أقسام وأصناف عين قائد يسوس أمرهم واخترع الألقاب والأسماء ليمتاز بها البعض من البعض وجعل الجيش والقواد طبقات متفاوتات وعين لكل من الأقسام والطبقات محلا ومكانا يقف به وعملا يخصه .

وقد كان القواد وكبار الجيش ضمن حاشية المنصور ،أما الجنود فيوجد عدد منهم بالعاصمة مراكش حيث قدر عددهم بنحو أربعين ألف مقاتل موزعين بين العلوج والأندلسيين وزواوة والأتراك والمخازنية وغيرهم والباقي موزع بمختلف المدن والولايات وفي القلاع والحصون ،وهؤلاء الجنود يأخذون رواتبهم كل أربعة أشهر،وفي زمن الحروب يحصلون على تعويضات خاصة والدولة هي التي تتكفل لهم بالملابس وتوزعها عليهم سنويا .وكثيرا ماكان المنصور يحضر إستعراضات عسكرية في المناسبات المختلفة [1].

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 238- 239 .

و لما تكامل الاستعداد اضطربت المحلات صاخبة بظاهرة الحضرة حتى أن هذه الاستعراضات أدهشت مشاهديها .[1]

وقد كان اهتمام أحمد المنصور بالجيش أمرا مهما ويذكر أن الجيش السعدي في عهد السلطان أحمد المنصور كان يتألف من قسمين

أ/الجيش النظامي : ويتكون من عناصر الاتراك والعلوج والأندلسيين ويعتمد على الأسلحة الحديثة المصنوعة محليا والمستوردة من أوربا وتسمى عسكر النار.

ب/الجيش التقليدي : ويعتمد على أسلوب التجنيد التقليدي المعروف في المغرب وعلى الأسلحة التقليدية غير النارية ويسمى عسكر الأسنة[2] .

ولقد إعتمد السلطان أحمد المنصور في تكوينه للجيش المغربي على العديد من الفرق والتي كانت من الموالي والعجم فضلا عن العبيد السود وتنظيمهم على المنوال العثماني ومن أهم الفرق العسكرية التي كانت ملازمة له :

- البياك : وأصلهم من العجم وكان لهم زي خاص مذهب ومهمتهم حراسة قبة جلوس السلطان .
- السلاف : ولهم نفس المهام المرتبطة بحراسة السلطان .
- البليردوش : ويقفون وراء السلاف ويتميزون عنهم بأسلحتهم.
- الشيشرية : إختصوا بالسهر على مؤونة السلطان وحاشيته .
- الشواش : وهم ضبط الجيش في أوقات السلم والحرب وإبلاغ أوامر السلطان الى كامل الجهات [3].

[1] عبد الكريم كريم ،المرجع سابق ، ص 240 .
[2] محمد خير فارس ومحمود علي عامر ، المرجع السابق ، ص 58 .
[3] ليندة الأرقش وآخرون ، المرجع السابق ،162 -163 .

ومن هنا فالتأثيرات التركية على جيش السلطان أحمد المنصور الذهبي بدت واضحة لا من خلال الترفيع في عدد العناصر التركية الأصل فحسب ولكن من خلال التسميات العسكرية للفرق والرتب والأزياء وآلات النفخ والأسلحة النارية .

كما أقام أحمد المنصور نواةعسكرية من العبيد إثر حملته على السودان سنة 1591 م ثم إسترقاق عدد من السود قدروا حسب بعض المصادر ب: عشرة ألاف ونظم أحمد المنصور الذكور القادرين على حمل السلاح في ديوان عسكري خاص بهم [1].

وذكر المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور أن الجيش المغربي كان في مجمله يتكون من نظاميين ومتطوعين وصل عددهم 40 ألف جندي ويعزز هذا الجيش كرديف ما يسمى بعرب الدولة ،وهم القبائل الموالية للدولة وقد كانت هذه القبائل على أهبة الاستعداد دوما لانجاد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة يصل تعدادها إلى 200 الف جندي .وقد تعدد ت المجموعات السلالية لأفراد الجيش السعدي ،فهناك العرب والبربر والسود ،والأتراك والأوربيون من أصل إسباني وبرتغالي الذين دخلو الإسلام حديثا ويرجع هذا الإقبال على الجيش السعدي إلى ماكان يعطى من أرزاق لأفراده وعلى سبيل المثال أن الجنود النضاميين كانوا يتقاضون راتبا كل أربعة أشهر من خزينة الدولة يتراوح مابين 50و200 دينار ويمكن أن يصل إلى 300 دينار ، مع العلم أن القنطار من القمح مثلا كان يساوي 4 دنانير.

وقد كانت القوات المغربية موزعة في المدن والاقاليم للمحافظة على الأمن والإستقرار ولتدعيم سلطان المنصور وتوطيد أركان دولته فالدولة إستفحلت واستطال جناحها واتسع نطاقها وضاقت حواضر ممالكها وثغورها بما تراكم فيها من الجند وتوفر فيها من الحامية ،بحيث كانت تقيم في قلاع وحصون ذات مواقع إستراتجية:ففي الشرق وعند الحدود الجزائرية يوجد حصن تازة [2] .

[1] ليندة الأرقش وآخرون ، المرجع السابق ، ص 163 .

[2] أحمد بن القاضي ، المصدر السابق ، ص 188 .

وفي الشمال بفاس يوجد المعقلان الضخمان اللذان أنشأهما بالجانب الشرقي ، بالإضافة إلى خزائن العدة والسلاح والبارود والرصاص مستكثرا فيها من الأنفاط القاذفة بمارج البارود وشوظ النار والاكوار المعدنية والصخرية .

وفي الغرب أقام عدة قواعد بحرية في :

– العرائش :ولعلى أهمها الحصنين الضخمين بمرسى العرائش والتي تعد أهم مراسي المعمورة سعة وإنفساحا .

– في اصيلا وآزمور وآسفي إضافة إلى ما أصلحه ورممه وزاد فيه فتممه بمدينة آسفي وبلدة آزمور ومدينة أصيلا وسائر الأطراف والثغور .

الأسطول البحري:

وإلى جانب القوات البرية ،كان هناك الأسطول ابحري الذي لم يكن يبلغ شأنا عظيما لعوامل مختلفة إلا أن المنصور حاول خلقه وتطويره وكان ممكن أن يكون ذالك لولا :

1/ اهتمام المنصور المتزايد بالقوات البرية لاستقرار الأوضاع الداخلية ولصد أي خطر أجنبي .

2/ احتكار الإنجليز تجارة المغرب وتزويد المنصور بكل ماهو بحاجة إليه من عتاد وأسلحة علاوة على قيامهم بنقل السفارات المغربية من المغرب إلى أوربا وبالعكس .

3/ وجود مراكز احتلال أجنبي بسواحل المغرب وهي موانئ هامة ذات مواقع إستراتجية ولما كانت علاقات المهادنة في غالب الأحيان قائمة بين المنصور والإسبان فإنهم إستفادوا من ذالك للمتاجرة مع المغرب والقيام بعمليات التصدير والإستراد .[1]

4/ انتشار عمليات القرصنة في عرض البحار الأمر الذي كان يتسبب في خلق الكثير من المشاكل.

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 243

وعرض علاقات الدول للخطر والتوتر وقيام الحروب [1].

5/ ان خصوم المنصور من أتراك وإسبان بالدرجة الأولى هم الذين كانو يهددون البلد بين آونة وأخرى بالهجوم والتدخل العسكري ،أي أن المولى أحمد المنصور كان بحاجة إلى قوات دفاعية لصد أي تدخل خارجي بالدرجة الأولى .

وبعد انهزام الإسبان في الأرمادا[2] وتحطم القسم الأعظم من الأسطول وانشغال الأتراك العثمانيون بحروبهم في أوربا الشرقية ،سعى المنصور إلى اغتنام الفرصة المناسبة لتأسيس أسطول مغربي قوي وذلك سنة 1596 رغبة في الجهاد والاستظهار على عدوا الدين والتوسع والاستيلاء على الممالك السودانية المعنية بخراجها المستبحر وبالسواد الأعظم المستاق من رقيقها على تسخير المجاذيف الثقيلة بالأساطيل كأجنحة الطير خفقانا وسرعة وطيرانا [3] .

ومن أجل تحقيق ذلك قام المنصور ب :

* بناء الدور لصناعة السفن .

* تحصين بعض الموانئ المغربية الصالحة لرسو الأسطول لما كمل بناء حصن الفتح من مرسى العرائش

* تنظيم قيادة الأسطول حيث منح رياسته لرجل من أهل المغرب يدعى الرايس ابراهيم الشط المثل المضروب في الشجاعة والمغرفة بأحوال البحر ليتولى بعده الرايس شعبان قبطان الأسطول الأمامي الجهادي ورئيس الجماعة من رؤساء المراكب الجهادية والقطع البحرية [4].

وقد برزت فاعلية هذا الأسطول أثناء مشاركته في حملة السودان حيث كانت مهمته تنحصر في إرغام سكان حوض النيجر في الدخول في طاعة الدولة .

---

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 243 .

[2] **الأرمادا** :كلمة إسبانية تعني الجيش البحري كبير العدد والعد ة ،(أنظر : وليام سبنسر ، **الجزائر في عهد رياس البحر** ،تر : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 ، ص 35 .

[3] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ،ص 197 .

[4] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 244 .

وحمل الآلات الحربية مستغلين في ذالك نهر النيجر[1] .

وما يمكن التوصل إليه من خلال هذا الفصل الذي خصص للتعريف ب أحمد المنصور الذهبي والإصلاحات التي قام بها فيما يخص المجال السياسي والعسكر ي أن أحمد المنصور قد نجح بفضل حزمه وحسن إدارته من ضبط البلاد ونشر الطمأنينية بها فسكن زعازع هوله أولا واقتلع جرثومة أهل البغى والشقاق من أجناده ثانيا وإستأصل شافة الخوارج والثوار على الدولة ثالثا وطاب الجنى وذرت اخلاف الجباية فامتلأت بيوت المال وغصت بالحبوب مخازن الأقوات ثم جاء نصر الله فذرت الفتوح واتسع نطاق الملك وبلغت الدولة أشرف نصابها [2].

[1] عبد الحق المريني ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** (جائزة المغرب سنة 1989) ط05 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1997 ، ص 63 .
[2] عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ،ص 245 .

الفصل الثاني

العلاقات الخارجية للدولة السعدية في عهد المنصور

المبحث الأول: العلاقات السعدية الأوربية

المبحث الثاني:العلاقات السعدية مع الخلافة العثمانية

المبحث الثالث: العلاقات السعدية مع السودان الغربي

الفصل الثاني : العلاقات الخارجية للدولة السعدية في عهد أحمد المنصور

المبحث الأول :العلاقات السعدية الأوربية

أولا: العلاقات السعدية الإسبانية :

إن العلاقات السعدية في عهد أحمد المنصور تبدأ مباشرة بعد معركة وادي المخازن 04 أوت 1578 باعتبار أن أحمد المنصور هو من خلف أخاه عبد الملك حيث رسمت العلاقات بين المغرب المنتصر في هذه المعركة وبين المملكة الاسبانية التي تربطها بالملك البرتغالي علاقة نسب وقرابة .

ولهذا قدم إلي المنصور وفدا إسبانيا وبرتغاليا يحمل إليه خطابا من ملك إسبانيا فيليب الثاني [1] يلتمس تسليم جثة ابن أختة الدون سيبستيان الذي وقع قتيلا أثناء المعركة ، فلم يقم المنصور برد طلبه.

وبعد هذا الانتصار اتبع" فيليب الثاني "سياسة التقارب والحذر لعله يحظى بتعاون مع المنصور أو على الأقل تبني موقف الحياد (تحييده) من الصراع بينه وبين الأتراك في شمال إفريقيا وبينه وبين الإنجليز تلك القوة الصاعدة وفي هذا المجال بعث سفارة في جويلية 1579م [2]،حتى أن حجم الهدايا المقدمة إلى المنصور من طرف الوفد الإسباني قد ازدادت قيمة وعظمة ،فتهافتت الناس على رؤيتها تهافت الفراش وغصت بهم طرق المدينة ،وهو الأمر الذي أدهش الجميع لكثرة ما شاهدوه [3].

أما عن السياسة الحقيقية للمنصور مع الإسبان فظاهرها غلب عليه طابع المجاملة ،لكن في الواقع كانت تحذوها الحيطة والحذر . ويذكر" شالدانيا [4]" أن فيليب الثاني كان يضغط على أحمد المنصور بشتى الوسائل لكي يسلمه مدينة العرائش أو استبدالها إما بمدينة الجديدة أوبمدينة أصيلا ،مبررا ذالك بكون هذه الأخيرة لا تصلح لرسو السفن .

---

[1] **فيليب الثاني** : (1527- 1598) ملك إسبانيا حكم من 1556 حتى وفاته خلف والده تشارلز الاسباني البرتغالي 1580 كانت بداية حكمه مؤشرا على بداية دمار الإمبراطورية (أنظر : **الموسوعة العربية العالمية** ، ص 172 .

[2] عبد الهادي التازي ، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ،مج 08 ،مطابع فضالة ، المغرب ، 1986 ، ص 48 .

[3] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 49 .

[4] **شالدانيا** : نبيل برتغالي عاش أسيرا في البلاط المغربي من 1592 -1606 كانت له اتصالات مستمرة خاصة مع علوج الجيش السعدي (أنظر : محمد جادور، **دبلوماسية أحمد المنصور من خلال تقاييد أسير برتغالي** ، ج4 ،مجلة المؤرخ ،المغرب ،2009 ،ص 04 .

بينما يوفر مصب نهر لوكوس الأمن للسفن الإسبانية التي تحتاج لإصلاح أي خلل يصيبها لكن المنصور بعث سفارة بقيادة فقيه إلى القسطنطينية للتفاوض حول تسليم العرائش[1] للأتراك خاصة بعد تهديدهم بانتزاع المدينة بالقوة وتعيين إسماعيل بن عبد الملك اللاجئ لدى العثمانيين كسلطان عليها لكن رد المنصور تجسد في تدشين سياسة القطيعة مع الأتراك مقابل حماية إسبانية ،كان قد وعده بها السفير الإسباني .

غير أن والي الجزائر كان يستعد لطرق ابواب الحرب ،مما أجبر المنصور على التعجيل بالإرسال إلى لشبونة للقاء فيليب الثاني بهدف الحصول على ضمانات عسكرية لحمايته من الأتراك وعاد المبعوث وهو يحمل الضمانات .

لكن أحمد المنصور ذكر للسفير الإسباني أن تسليم مدينة العرائش يتنافى مع تعاليم الإسلام ويثير الفوضة والبلبلة في البلاد كما رفض تسليم المدينة بعد تراجع حملة باشا الجزائر متذرعا للسفير الإسباني بكون ملكة إنجلترا طالبته بميناء المعمورة لرسو سفنها مقابل بيع كل الغنائم به ،بل إقترحت عليه المساعدة لإسترداد عرش البرتغال لكنه لم يستجب لمطالبها وأخبره بتلقيه تهديدات من ابنائه للتحالف مع الأتراك [2].

في حالة ما إذا تخلى عن العرائش ،لكن في الحقيقة تسليم العرائش يعتبر خطة سياسية إعتمدها أحمد لمنصور ولذلك اعتمد على المماطلة .

وعلى الرغم من الإنتصارالذي أحرزه المنصور في موقعة وادي الملوك وانهزام الأسطول الإسباني في معركة الأرمادا بتاريخ 10اوت 1588 ،إلا أنه ظل مسالما لإسبانيا ومتأرجحا بين السياسات الأوربية التي كانت لديها أغراض سياسية وأطماع اقتصادية[3] .

---

[1] **العرائش** :مينة قديمة أسسها أهل البلاد على الساحل عند مصب واد ليس في المحيط يحدها البحر من جهة والنهر من جهة أخرى ،كانت عامرة قبل أن تؤول أصيلا للمسيحيين (أنظر : مارمول كاربخال ، المصدر السابق ، ص 188) .

[2] محمد جا دور ،المرجع السابق ، ص 04- 05 .

[3] داود داودي ، **العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والدول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن العاشر للهجرة /السادس عشر ميلادي** ، أطروحة ماجيستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2013 ، ص 49 .

ومع كل هذا فقد أثرت علاقاته مع الإنجليز في سير اتصالاته بالإسبان ،حيث وجد في الإنجليز البديل الذي يعوضه عن الإسبان في كل ما يلزمه من مدد اقتصادي واستراتيجي متملصا بذلك من ضغوطاتهم ومساوماتهم [1]

ثانيا:العلاقات السعدية الإنجليزية:

يوافق عهد أحمد المنصور عهد ملكة إنجلترا إليزابيت [2]وهوالعهد الذي بدأت منه إنجلترا نشاطها التجاري والبحري والاستعماري على نطاق واسع ودخلت فيه السياسة العالمية كقوة لها وزنها كانت إليزابيت تتزعم المعسكر البروتستانتي المعادي للمعسكر الكاثوليكي الذي يتزعمه فيليب الثاني وقد اشتد الصراع في الثمانينات وأخذ طابعا مصيريا وظهرت في كل من المعسكرين اتجاهات لحسم الصراع ،فهيأ فيليب الثاني قوات ضخمة لغزو إنجلترا سنة 1588م وفي المقابل كانت إنجلترا تسعى لتحرير البرتغال من إسبانيا وتنصيب أمير موالي لها كخطوة أولى نحو ضرب إسبانيا في عقر دارها .

وكان المغرب مهما للطرفين ولذلك سعى كلا منهما لكسب المغرب إلى صفه أو على الأقل إبعاده على الطرف الآخر.

فمنذ أن تسلم المنصور(1578-1603م) السلطة في المغرب كتبت إليه إليزابيت تسأله الاستمرار في معاملة التجار الإنجليز معاملة حسنة [3].

وقد أبدى هذا الأخير" أحمد المنصور " الذي لم يقل رغبة عن سلفه في تطوير العلاقات التجارية والسياسية مع إنجلترا وانطلاقا من هذه الرغبة كتب من مراكش سنة 1579م رسالة إلى الملكة إليزابيت ردا على الرسالة التي كان قدتلقاها منها بخصوص معاملة التجار الإنجليز ،وقد أكد حاكم المغرب الجديد للملكة بأن تجارها سوف يلقون نفس الاستقبال الودي الذي كانو يلقونه من قبل

[1] داودي داود ، المرجع السابق ، ص 49 .

[2] **اليزابيت** :ملكة انجلتر تولت العرش سنة 1558م ،حكمت بلادها لخمسة وأربعين عاما من أهم ماميز فترة حكمها القوة البحرية التي عرفتها المملكة خاصة بعد انتصارها على الأسطول الإسباني ،وقد اعتمدت في علاقاتها مع المنصور على الرسائل والمبادلات أكثر من الإتفاقيات والمعاهدات التي تبرم عادة بين الدول ،توفيت سنة 1603م (أنظر : أحمد صلاح هريدي ،**تاريخ أوربا الحديث** ، دار الوفاء ، مصر ، 2000 ،ص 253 .

[3] محمد خير فارس ومحمود علي عامر،المرجع السابق ،ص 65- 66 .

،كما وعد المنصور بالاستجابة إلى مطلب الملكة اليزابيت بدفع اليهود الذين يديرون مزارع قصب السكر الديون التي كانو قد اقترضوها من الإنجليز وذلك في خطاب آخر له مؤرخ في مارس 1581م.

وكان من أهم الأسباب التي دفعت العاهل المغربي إلى تشجيع التجارة مع انجلترا حاجته إلى أصناف جديدة من الاخشاب المتوفرة في أوربا لاستخدامها في بناء سفنه الجديدة غير انه على الجانب الآخر كانت اليزابيت حريصة على الاحتفاظ بهذه الأصناف من الأخشاب لبناء أسطولها الخاص[1] .

ومع ذلك تجاوبت مع طلب المنصور ووافقت على تصدير كمية من هذه الأحشاب مقابل نترات البوتاسيوم المغربية الممتازة وفي هذه الفترة تشكلت في انجلترا "شركة بلاد البربر "لاحتكار تجارة المغرب لمدة اثني عشر شهر .

ضف الى ذلك أن أحمد المنصور كان يعقد على التعاون المغربي الانجليزي أعظم الآمال ويتطلع إلى القيام بعمل عسكري مشترك ضد المصالح الإسبانية وضربها في مختلف أنحاء العالم ،وهذا ما جعل الإنجليز يبدون الإعجاب بطموح المغاربة وإدراك أهميتهم في محاربة الإسبان ،وفي المقابل كان دور الإنجليز منصبا إلى منع الإسبان من الحصول على أية مكاسب في المغرب وتضييق الخناق عليهم [2].

وكان من أسبا ب توثق العلاقات الإنجليزية مع الملوك المغاربة على عهد اليزابيت تلك العداوة المشتركة من جانبهما تجاه اسبانيا وذلك لتخوفهما من الروح الصليبية لفيليب الثاني ونتيجة هذا التخوف توثق العلاقات الودية بين الملكة البروستنتية والملوك المسلمين وقد دخلت العلاقات بين البلدين مرحلة أكثر نشاطا وحيوية بعد قضية "دون انطونيو[3] " المطالب بعرش البرتغال .

[1] ب.ج روجرز ، **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900** م ، ط1 ،تر :يونان لبيب رزق ،الدار البيضاء ، المغرب ،1981 ، ص45- 46 .

[2] محمد خير فارس ومحمود علي عامر ، المرجع السابق ، ص 66 .

[3] **دون انطونيو** : ينحدر من أسرة "عمانويل " ملك البرتغال وقع أسيرا في معركة القصر الكبير ،وسرعان ما تم فك اسره (أنظر : شوقي عطاءالله الجمل ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** (ليبيا ،تونس ، الجزائر ، المغرب ،) ،ط1 ،الأنجلو مصرية ، القاهرة، 1977 ،ص 182 .

فبعد مقتل الملك البرتغالي دون سيبستيان[1] في معركة وادي المخازن 04 أوت 1578 ولم يكن له ابن يخلفه على العرش فخلفه عمه الذي لم يعمر طويلا وتوفي في 31 جانفي 1580 وبعد ذلك ادعى الملك الإسباني " فيليب الثاني" بحقه في ارث عرش البرتغال بصفته حفيدا للملك البرتغالي الأسبق ايمانويل ولكن نازعه في ذلك ابن أخ غير شرعي للملك المتوفي اسمه " دون انطونيو " لكن الملك الإسباني لم بضع حدا لطموحاته وأرسل جيشا إلى البرتغال عام1580 وقطع الطريق على تقديم أي عون لدون انطونيو الذي لقي الهزيمة وفر من البلاد ،وتخوف الملكة اليزابيت من تعاظم قوة فيليب الثاني إذ ما جمع بين تاجي إسباني والبرتغال [2].

الأمر الذي جعل الملكة إليزابيت تلح على المنصور بدفع أموال لأمير البرتغال والتريث في موضوع إرسال الجنود المغاربة إلى لشبونة ،وكان ذلك دليلا على المكانة العالية التي وصل إليها المغرب في مجال السياسة الأوربية الخارجية في عهد السلطان أحمد المنصور وفي عام 1588 تم هزيمة الأرمادة الإسبانية هزيمة ساحقة ،لتظهر بعدها إنجلترا كأقوى دولة بحرية وساعدت الهولنديين في الحصول على استقلالهم عن إسبانيا ولقد استفاد المنصور من هذه الظروف الدولية ،إذ أصدر أمر بتاريخ 11 جانفي 1588 يأمر فيه حاكم تيطوان احمد النفيسي بالهجوم على مدينة سبتة التي بقيت محتلة من طرف الإسبان[3] .

[1] **دون سبيستيان** : ملك البرتغال ولد بلشبونة سنة 1554 وقتل في معركة وادي المخازن بالمغرب الأقصى سنة 1578 كان يسعى الى تكوين إمراطورية برتغالية في شمال غرب إفريقيا وذلك بعد احتلال المغرب (أنظر :داود داودي ، المرجع السابق ، ص 44 .

[2] ب .ج روجرز ، المرجع السابق ،ص 48 .

[3] عبد الفتاح مقلد غنيمي ، **موسوعة المغرب العربي** ،ج6 ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ، 1994 ، ص 316 .

ثالثا:العلاقات السعدية الفرنسية :

بعد أن تولى أحمد المنصور عرش المغرب بعد واقعة واد المخازن أسرع الملك الفرنسي هنري الثالث بتكلف القنصل الفرنسي "غيوم بيرار" بتاريخ 16 جويلية 1579 م بتقديم تهاني فرنسا لأحمد المنصور مذكرا إياه بالعلاقات الطيبة التي كانت بينها وبين أخيه عبد الملك ،مضيفا إلى هذه العواطف رجاء فرنسا في أن يأذن لمراكبها بدخول الموانئ المغربية وبأن يعمل على تحرير ما يوجد من أسرى فرنسيين بالمملكة ،وأن يسمح لها بتصدير أربعين ألف قنطار من الرزينة لاستعمالها في الأصباغ وبتصدير خمسة وعشرين ألف قنطار من ملح البارود ،كما تقدم السفير الفرنسي يطلب من أحمد المنصور قرض مبلغ قيمته مائة وخمسين ألف دينار يسلفها ملك المغرب إلى ملك فرنسا وقد كان استقبال السفارة الفرنسية بمراكش في نفس التاريخ الذي وصلت فيه السفارة التركية والبرتغالية والإسبانية [1].

و يذكر الفشتالي في مناهل الصفا فيما يخص هذه السفارة ".... وارتفعت الى الله كلمات الشكر الطيبة في كل أفق وقطر فسمت بذلك ملوك الدنيا من أهل الملتين إلى مخاطبة أمير المؤمنين وايفاد ارسالهم عليه للتهنئة بالفتح والخلافة فخاضوا اليه البحار وشقوا القفار متبارين في السبق الى حضرته الكريمة فكان اولهم ورودا على سدته الشريفة وأبوابه العلية المنيعة رسول صاحب الجزائر لاقترابه فبلغ الرسالة وادى الهدية .....إرسال طاغية الإفرنجة ويقال أفرنصة وبه يعرفون اليوم وارسال طاغية قشتالة فأدوا فرض التهنئة واقتفوا سنن غيرهم من ارسال ملوك الأرض ....."[2]

وبعد أن اشتدت وطأة الحروب الدينية بأوربا الغربية خاصة بين أنصار المذهبين البروتستانتي والكاثوليكي وازدادت حدة الصراع في فرنسا وهولندا ،وإمعان بريطانيا في مضايقة المستعمرات

[1] عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 173-174 .

[2] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 49 .

الإسبانية في الهند وأمريكا اللاتينية وكذا الشرق الأوسط ،وأمام التهديدات الإسبانية لفرنسا بعد اعتناقها المذهب البروتستانتي[1].

لجأت هذه الأخيرة إلى التقرب من المغرب ،حيث طلبت من المنصور بإنشاء تعاون عسكري ضد الخطر الإسباني الذي أصبح العد والمشترك للبلدين وبهذا الصدد بعث الملك الفرنسي هنري الرابع [2]

وفد إلى المغرب يوم 13 ديسمبر 1596م من أجل توطيد العلاقات السياسية لبناء تحالف عسكري ضد إسبانيا التي تسعى إلى ضم فرنسا وما تملكه بحجة توحيد القوى المسيحية .

وعلاوة على ذلك فإن فرنسا في عهد الملك هنري الرابع سعت إلى تكثيف العلاقات الاقتصادية مع المغرب الأقصى والإيالات العثمانية ، كما أنها حرصت على الملاحة في البحر الابيض المتوسط وعلى سلامة سفنها التجارية التي كثيرا ما تعرضت للقرصنة المغربية .

وأمام هذا الوضع المتكرر لجأت فرنسا إلى الدولة العثمانية بحيث كتب الملك الفرنسي هنري الرابع رسالة إلى السلطان العثماني ، يشكو فيها امر القرصنة المغربية ويطلب منه مراسلة السلطان المغربي أحمد المنصور لينظر في الأمر وهذا ما تحقق فعلا ، بحيث قام السلطان العثماني بتوجيه رسالة إلى السلطان المغربي بتاريخ 23 أوت 1603 .[3]

رابعا: العلاقات السعدية الهولندية

تعد هولندا من الدول السباقة إلى التقرب من المغرب وخاصة بعد موقعة وادي المخازن التي لقي فيها الملك البرتغالي دون سيبستيان مصرعه ،وقد اشتملت العديد من العوامل ساعدت على هذا التقارب منها شعورهما المشترك ضد إسبانيا وإقامة جالية يهودية من المطرودين من الأندلس في البلاد المنخفضة نظرا لما اشتهرت به من التسامح الديني فكون أفراد هذه الجالية اليهودية الثرية علاقات تجارية مع

[1] جلول بن قومار ،**معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوربا (البرتغال –إسبانيا – فرنسا)** ،986هـ -1578 م/1012هـ - 1603 ،أطروحة ماجستير في التارخ الحديث ، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر ، 2011 ،ص 135 .

[2] **هنري الرابع** : ملك فرنسا من سنة 1589 – 1610 خلف الملك السابق لفرنسا هنري الثالث (أنظر : الموسوعة العربية العالمية ، ص 116)

[3] جلول بن قومار ، المرجع السابق ، ص 136 .

إخوانهم المقيمين في المغرب والجزائر وربطوا معهم صلات متينة ،فكانت السفن الهولندية تتردد وبدون انقطاع على الموانئ المغربية.

وهكذا لم تمر بضع سنوات على تولي الحكم حتى وجدت رسالة الولايات العامة إلى المولى أحمد المنصور صادرة من البلاد المنخفضة وهي تحمل تاريخ 22 صفر 1005 / 15 أكتوبر 1596م تتضمن أن الولايات العامة في حالة حرب ضد إسبانيا وتخبر بأن أسطولها الذي يتحالف مع اسطول إنجلترا قد استولى على قادس وأنه أثناء العمليات الحربية عثروا على بعض المواطنين المغاربة في المنطقة لكنه أطلق سراحهم وذلك لما يكنونه من مودة للمغرب وهم بهذه المناسبة يخبرون السلطان المغربي بأنهم يتركون لجلالته الفرصة للتفكير في عقد إتفاق سلام بين المغرب وهولندا .

ولم تلبث لاهاي أن بعثت برسالتها إلى السلطان أحمد المنصور بتاريخ 09 ربيع الأول 1005 هـ/31 أكتوبر 1596 م على أن يمنح رعاياها جوازات على نحو ما يمنحه لإنجلترا والأصدقاء المقربين إلى المغرب ،وأن يساعد على إيواء اللاجئين إليه من الولايات العامة .

ولقد حافظت الأراضي المنخفضة على صداقتها مع المغرب بعد وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي[1]

[1] عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص275 – 276 .

المبحث الثاني :العلاقات السعدية العثمانية

إن العلاقات السياسية بين السعديين وإيالة الجزائر و الباب العالي ،كانت تكتسي أهمية خاصة باعتبار ان الجزائر كانت خاضعة للدولة العثمانية بحكم الخلافة الإسلامية وبالتالي فإن الحكام العثمانيين هم الذين كانو يسيطرون على العلاقات بين الطرفين كونها كانت تسيطر على دول شمال إفريقيا (ليبيا – الجزائر – تونس) ،كما كانت تسعى إلى إخضاع المغرب الأقصى لأن هذا الأخير ظل البلد الوحيد الذي أفلت من الخضوع للخلافة العثمانية .

ضف إلى ذلك أنه يمثل مسرحا للصراع بين المسيحية الممثلة في الدول الأوربية والإسلام الممثل في الخلافة العثمانية ،ومن أجل استكمال الخلافة الإسلامية بذل العثمانيون قصار جهدهم حتى ينضوي المغرب الأقصى تحت سلطتهم وفي هذا المبحث سنتطرق إلى علاقة السعديين مع إيالة الجزائر والباب العالي

أولا :العلاقات السعدية مع إيالة[1] الجزائر :

لقد تميزت علاقات الدولة السعدية في عهد أحمد المنصور الذهبي الذي خلف عبد الملك مع إيالة الجزائر بالسلام القلق ،وميل السلطان السعدي أحمد المنصور إلى التقرب من الإسبان وإقامة مشاريع مضادة للعثمانيين في الجزائر [2] ولهذا غضب مراد الثالث ويبدوا أن العلج علي [3] الذي كان يحلم منذ ان كان امير الأمراء في الجزائر بضم المغرب ولو بالقوة والقضاء على دولة السعديين بها ،وهذا ما دفع

[1] **الإيالة** : تعتبر إيالة أكبر وحدة إدارية عسكرية في الدولة العثمانية يحكمها البايلرباي (أمير الأمراء)، وفي القرن التاسع عشر ثم إعادة تشكيل الإيالات لتصبح ولاية يحكمها الوالي (أنظر : نبيل الكسندر وفناد ولينا ،**الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية** ، تر:محمد ابراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1999 ،ص 174) .

[2] عمار بن خروف ،**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب** في القرن العاشر للهجرة والسادس عشر ميلادي ،دار الأمل ، الجزائر ،2006 ،ص 198 .

[3] **العلج علي** : ولد في إيطاليا أسر من طرف المسلمين في إحدى الحملات التي نظمها خير الدين ضد جنوب ايطاليا مابين(1563- 1568) وعند اقتسام المغانم وقع في صف الرايس احمد ،إشتهر بفضل براعته وخبرته في الهجومات البحرية التي كان يشنها كان له مركب بحري يساهم به ضد المسيحيين لمع نجمه في الهجوم العثماني على مالطا (أنظر :المبارك الميلي ،**تاريخ الجزائر القديم والحديث** ، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ،(د.ت) ،ص 103 .

الفشتالي إلى مهاجمته واتهامه بالعداء الظاهر للأشراف :آل النبي عليه الصلاة والسلام قائلا "...ثم إن علوج علي وزير البحر كان عند بني عثمان وقائد أسطولهم لما كان حديث العهد بالكفر [1]

لتأخر إسلامه إلى مجاوزة سن الاكتمال صار يستبطن لذلك عداوة للإسلام ويجاهر بها خصوصا لأبناء النبي محمد صلى الله عليه وسلم الخلفاء الراشدين بالمغرب رضوان الله عليهم ويجزل قسطهم من ذلك بمقدار مالهم من العراقة في الدين والهداية بالنشأة من طينة النبوة ومن معدن الرسالة .....".

وقد وجد العلج أذانا صاغية في توجيه حملة ضد المغرب حيث توجه العلج علي إلى الجزائر في شهر جويلية 1581 على رأس أسطول حربي يتكون من ستين قطعة حربية لغزو المغرب ،لكن هذه الحملة باءت بالفشل لتخوف السلطان العثماني من التحالف المغربي الإسباني ضده وأن انتصار الحملة غير مؤكد وقام بإصدار أمر الى قائد الحملة بالتوقف والعودة [2].

وقد تميزت الفترة الممتدة من 1587 – 1591بالسلام الراسخ والوفاق بين الجزائر والمغرب وذلك بعد رحيل حس باشا عن الجزائر سنة 1587 إلى اسطنبول[3] وموته سنة 1591 لأن هذا الأخير كان يرغب في التدخل في المغرب ويحرض السلطان العثماني على غزو المغرب [4].

وعليه فإن العلاقات بين الأشراف السعديين والجزائر مالت الى السلام سنة 1588 إلا أنها لم ترق إلى مستوى التعاون الفعال والتلاحم بينهما وذلك لانعدام الثقة بين الطرفين ،فأحمد المنصور ظل ينظر للجزائر بأنها العدو الذي لا يمكن إئتمانه[5] .

وفي الأخير نجد أن أتراك الجزائر قد فشلو في استمالة أحمد المنصور فمالت إلى الاعتراف بالأمر الواقع في المغرب واستقلاله عن الجزائر وبقاء أحمد المنصور سلطانا عليه .

---

[1] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 61 .

[2] نفسه ، ص 61 – 62 .

[3] **إسطنبول** :ويقصد بها إسلام بول اي المدينة العامرة بالإسلام وهو الاسم المعروف والعام الذي أطلقه الأتراك على المدينة العظيمة التي فتحوها واتخذوها عاصمة للإمبراطورية العثمانية (أنظر :بونارد لويس ،**اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية** ، تر : سيد رضوان علي ،ط2 ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ،1982 ،ص 12 .

[4] عمار بن خروف ، المرجع السابق ، ص 218-219 .

[5] نفسه ، ص 231 .

ثانيا : العلاقات مع الباب العالي:

كان احتواء العثمانيين للسلاطين السعديين من خلال رسائل الباب العالي[1] لهؤلاء والتي لم تتعد صفة حاكم ولاية فاس ،وهو ما كان يعتبر من المنظور العثماني أن المغرب ولاية تابعة لهم بالإضافة إلى ذلك أن السلطان السعدي عبد الملك كان يلقي الخطبة باسم السلطان العثماني وسك النقود باسمه ويبعث له الأموال والهدايا الكبيرة وهذا ما اعتبره العثمانيين بالتبعية للباب العالي .

لكن انتصار المنصور في معركة وادي المخازن 1578 م بالقصر الكبير ساهم في تغيير هذه التبعية التي كانت عليها الدولة السعدية فأحمد المنصور على خلاف أخيه عبد الملك لقب نفسه بالخليفة وكانت الخطبة باسمه وهذا يعتبر تأكيدا صريحا على استقلالية المغرب عن الباب العالي.

ومنذ أن تمت البيعة للمنصور أرسل رسولا إلى السلطان العثماني وسائر مماليك الإسلام المجاورين للمغرب ومنهم صاحب الجزائر يخبرهم بالنصر ،كما أن العثمانيين أوقفوا الحملة التي كانوا يعدونها لمهاجمة المغرب ومطالبة المنصور بتعيين إسماعيل ابن عبد الملك المقيم في الجزائر مع أمه التركية حاكما على فاس ،والهدف من ذلك إضعاف العثمانيين المنصور وإيجاد عميل موال لهم في شمال المغرب ،الأمر الذي يقوي أملهم في بسط نفوذهم على المغرب [2].

وكان من بين أسباب توتر العلاقات المغربية العثمانية هو تآمر القادة الأتراك الموجودين في الجيش المغربي منذ إعلان بيعته ونادوا بأحقية أخيه عبد المؤمن ابن الأم التركية ،كما أقنع العلج علي السلطان العثماني بإعداد حملة لمهاجمة المغرب وقد علم المنصور بنوايا العلج علي فنجح في تجنب الغزو العثماني بالوسائل الدبلوماسية ،وقد تكررت السفارات بين الطرفين وكان من بين وفود المنصور الى تركيا السفارة التي ترأسها أبو الحسن التمكروتي [3] .

[1] **الباب العالي** :هو الإسم الرسمي لحكومة الإمبراطورية العثمانية (أنظر : نبيل السكندر وفناد ولينا ،المرجع السابق ،ص174 .

[2] محمد خير فارس ومحمود علي عامر ، المرجع السابق ، ص 61 .

[3] **التمكروتي** :ولد سنة 1534م تربى في بيت علم وصلاح شيخه عبد العزيز القسنطيني إرتبطت شهرته بالكتاب الذي تركه مسجلا فيه وصف رحلته توفي سنة 1594 ودفن بروضة القاضي عياض بمراكش (أنظر :علي بن محمد التمكروتي ،**النفحة المسكية في السفارة التركية** ، تر: عبد اللطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2002 م، ص 5-6 .

وعلى الرغم من المجاملات إلا أن، تعالي السلطان العثماني واعتبار نفسه الخليفة الوحيد وأن أحمد المنصور ليس إلا حاكما أو أميرا على فاس أو مراكش والحاح العثمانيين على ضرورة تسليم إسماعيل بن عبدالله حكم فاس من جهة ورغبة المنصور في تأكيد استقلاله عن الأتراك واعتباره ندا للسلطان العثماني حال دون وصول المفاوضات إلى نتائج ملموسة .

ومع ذلك فإن شعور العثمانيين والمنصور بتزايد الخطر الإسباني بعد ضم البرتغال وتضايق المنصور من إلحاح الإسبان على تسليم العرائش من المغرب ،جعلهما يستمران في الاتصالات وتبادل السفارات والهدايا ففي سنة 1580 م تلقى المنصور من السلطان العثماني رسالتين يقترح فيهما على المنصور التحالف ضد الإسبان ولتوثيق هذا التحالف عرض السلطان العثماني على المنصور الزواج بإبنته .

وأمام إلحاح إسبانيا على المنصور تسليم العرائش تملص المنصور بحجة الرجوع إلى السلطان العثماني ،كما أن إنجلترا كانت تحث السلطان العثماني على التدخل لدى المنصور للإمتناع عن تسليم العرائش للإسبان كما أبدى العلج علي رغبته في الذهاب إلى المغرب محملا بالهدايا الثمينة وذلك بهدف إبعاد مستشاري المنصور الميالين للإسبان ،وظل تبادل السفارات في الأطر نفسها [1]

واستمر تردد السفراء بين الإستانة وفاس حيث قام المنصور باستقبال السفير العثماني ،ورغم كل هذه المساعي إلا أن اقتراح السلطان العثماني لم يتحقق لأسباب تبقى مجهولة ،ولما كان أحمد المنصور يستعرض جيشه ويعد العدة لتوجيه حملته نحو السودان كان سفير المنصور لدى الباب العالي يلقي خطبة نارية امام السلطان العثماني يحث فيها على إتحاد كلمة الإسلام وتوحيد جيوشهم لمحاربة الكفار والوثنيين وإعادة المسلمين إلى سابق عهدهم ،ويظهر ان العثمانيين لم يتحركوا ضد المغرب [2]

كما أن المنصور كان موادعا لسلاطين آل عثمان فيرسل إليهم الهدايا في كل سنة وكانو هم يرسلون اليه بالمكاتب والخلع السنية حتى ان السلطان مراد بن سليم كتب إليه أثناء مكاتيبه "لك على العهد أن لا أمد يدي اليك الا للمصافحة وأن خاطري لا ينوي اليك إلا الخير والمسامحة " وكانت رسله

[1] محمد خير فارس ومحمود علي عامر ، المرجع السابق ، ص61-62 .

[2] محمد الغربي ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي** ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ،العراق ،1982 م، ص96- 97 .

دائما تأتي إلى القسطنطينية من جانب البحر ويمكثون زمانا طويلا ويتعهدون الوزراء ومن له قرب من الدولة ومن جملتهم الرئيس الأديب محمد الامين الدفتري .

حتى ان الرئيس كان يجمع نفائس الكتب ويبعث بها إلى المنصور ولذا كانت المراسلات بينهما غير منقطعة.[1]

كلها أسباب تضافرت وجعلت العثمانيين ينأون عن غزو المغرب والدخول في مغامرة لم تكن مضمونة النتائج ،ومما لاشك فيه أنه تبين للعثمانيين استحالة ضم المغرب لذلك عملوا على ضمه بطرق المباغتة والطواعية لكنها هي الأخرى لم تجد نفعا مع السلطان أحمد المنصور [2] .

وبقيت العلاقة بينهما حسنة حتى وفاة أحمد المنصور ،لكن فيما أي بعد وفاة المنصور فترت العلاقات المغربية التركية بسبب المشاكل الخاصة التي شغلت كلا الطرفين [3] .

[1] أحمد ابن خالدالناصري ، المصدر السابق ، ص 97 .

[2] علي بن محمد التمكروتي ، المصدر السابق ،ص 104 .

[3] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص343 .

المبحث الثالث: العلاقات السعدية مع السودان الغربي :إن العلاقات السعدية مع السودان الغربي ترجع في تاريخها إلى عهد بعيد وإن تطورت بعد إنتشار الإسلام وازدادت قوة الاتصالات التي كانت مستمرة بينهما في العهود السابقة ،ومع ظهور السعديين وقيام دولتهم بالمغرب سعو إلى البحث عن موارد ثابتة تمكنهم من توطيد أقدامهم وتساعدهم على تطوير الاقتصاد المغربي لما فيه رفاهية البلاد وازدهارها ،كما استغل السعديون قصب السكر بسوس وغيره من الثروات الزراعية والمعدنية ،فقد سعوا إلى استغلال ثروات الصحراء المغربية الجنوبية كمعادن الملح بتغازي وعليه فقد كان طموح الحكام السعديين في استغلال ثروات السودان لكن لم يتجسد ذلك فعليا [1]

لكن بعد وصول المنصور إلى الحكم واستقرار أوضاعه الداخلية والخارجية تطلع لضم أقاليم السودان وتشكيل إمبراطورية إسلامية في غرب القارة لمواجهة الأطماع الأجنبية في ظل أوضاع السودان السيئة وانقسامها وبتزايد الخطر الإيبيري عبر المراكز الساحلية في غرب القارة فاتجه المنصور إلى الاستيلاء على المراكز الصحراوية المتجهة إلى السودان وحاول إقناع ملك سانغاي الدخول في طاعته وبرفضه أرسل له حملتين عسكريتين 1591[2] فقضوا على مملكته ليتم ضم أقاليمها للمغرب وجعلها تابعة لإدارته المركزية وعين لها واليا لتسيير أمور الإقليم .

الأمر الذي ساهم في تعزيز مكانة المغرب وإنعاش أوضاعه الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والعمرانية

ومن جهة أخرى فإن أحمد المنصور الذهبي كان يسعى إلى قطع الطريق على غير الافارقة وبالتالي على غير المؤهلين لتحمل الرسالة في المنطقة ثم عما كان يعتزم عليه من التحرك نحوتحرير ثغوره في الشمال ثم العودة إلى الاندلس بعد أن يكون قد اطمأن تمام الاطمئنان على الجبهات التي كان يراد فتحها في الجنوب والشرق والشمال من طرف أوربا وتركيا على السواء [3]

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 147 .

[2] سنتكلم عن هاتين الحملتين بشيئ من التفصيل خلال الفصل الثالث .

[3] عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 232 .

وعليه فإستراتيجية السطان أحمد المنصور الذهبي و حنكته السياسية ومصارعته للدول الكبرى التي كانت تعاصره ،فلقد استطاع الرجل أن يصانع ملكة إنجلترا حقبة من الزمن ولكن من دون أن يرضي مطالب ملك إسبانيا الذي كان يتربص الفرصة بالمغرب واستطاع مع ذلك أن يحتفظ ولو ظاهرا بصداقته لتركيا وحليفتها فرنسا .

كما استطاع مع هذا وذاك أن يفتح صدره لهولندا وهي تصارع من أجل بناء استقلالها.....واستطاع قبل هذا أن يكسر شوكة أكبر امبراطورية عرف التاريخ عنها شرقا وغربا ونعني بها البرتغال التي انهزمت أمام السعديين في أضخم موقعة تحدث بها العالم ألا وهي موقعة وادي المخازن .....وأخيرا استطاع أن يفرض نفوذه عبر مساحات شاسعة في المنطقة

الفصل الثالث :

حملة أحمد المنصور على بلاد السودان

المبحث الأول: عوامل الحملة

المبحث الثاني: مراحل الحملة

المبحث الثالث: نتائج الحملة

الفصل الثالث : حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان

تمتد بلاد السودان على مساحة واسعة من غربي القارة الإفريقية ، بين منطقتين متباينتين طبيعيا وبشريا واقتصاديا ،هما الصحراء الإفريقية الشاسعة الأطراف في الشمال حيث لا تتم الحياة الا في الواحات وحيث تكثر أنماط حياة الترحال والتنقل ،والغابة الاستوائية المكتظة بالأشجار ،وقد اشتهرت منذ القديم بنهرها العظيم "نهر النيجر " (بحر النيل) الذي يبعث الخصب والحياة في جميع المناطق التي يمر بها [1].

ويقول الفشتالي أنها بلاد اثراها الله بنهر الجنة ومنبع الرحمة تسقيهم النهل والعلل ويجبى إليهم الثمرات والخيرات فهي أرض كرم الله تربتها وابان فضلها بما اختصها بها من معادن الذهب الذي به قوام العالم وبناء المجد ،فبلاد السودان مثرات العديم ومجلب التبر الى المشارق والمغارب في الحديث والقديم

فمن ملكها ملك الأرض وجمع الطول والعرض ،فهي أرض جاد بها كرم التربة وخصب البقعة فقد طم بها بحر الحبوب والاقوات والادم وسال بها سيل النعم المنبثة للتناسل في المزج النضر الممتد مع ضفتي النيل جناحا أخضر موشي البرود بوشيح النبات مغدق السقيا بالفيض المتراكب الموج الى محاسن لاتحصى [2].

ويعتبر فتح السودان بالنسبة للمغاربة أثر من اثار موقعة وادي المخازن ، إذ وفرت هذه الأخيرة للسلطان أحمد المنصور سبل القوة والمكانة ،وحولت المغرب من بلد بالأمس القريب مطمعا لأعدائه من البرتغاليين والإسبان والأتراك ،إلى بلد يتميز بجيشه كثير العدد جيد التنظيم ، يقوم بالحملات العسكرية لتوسيع رقعة بلاده وحماية البلاد الإسلامية من الأطماع الخارجية المتمثلة في الإسبان والبرتغال وحتى الدولة العثمانية .[3]

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 145 .
[2] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 117 – 118 .
[3] جلول بن قومار ، المرجع السابق ، ص 125 .

كما عرفت بلاد السودان بتاريخها السياسي ودولها العديدة التي بلغت السودان في عهودها مراحل هامة من التطور السياسي والإزدهار الإقتصادي .

ومنذ ظهور الإسلام وانتشاره في شمال افريقيا ،اخذ نور الدين الحنيف" الإسلام " يشرق بين جنبات بلاد السودان الى أن عم القسم الأعظم منها ،لدرجة أن مدن السودان غدت من أعظم المراكز الإسلامية بغربي إفريقيا خاصة في زمن حكم أسرة آسكيا المؤسسة لدولة سنغاي في مدينة كاغ على النيجر الأوسط ،وبحكم وضعية السودان الجديدة دخلت هذه المنطقة في عداد بلاد الإسلام وازدادت الروابط الروحية والمادية بين سكانها وباقي المسلمين في الشرق والغرب ولاسيما بشمالي إفريقيا بحكم موقعها القريب من السودان ،ومن أهم مدن السودان ...العاصمة كاغ وتمبكتوا ودجيني وغيرها ...

ودولة سنغاي في كاغ يرجع تأسيسها الى محمد آسكيا الملقب بآسكيا الكبير الذي تمكن بعد ضعف إمبراطورية مالي وانحلالها من تأسيس دولة مسلمة سنة 1493 م ،توارث حكمها ابناؤه من بعده .[1]

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 146 .

المبحث الأول : عوامل حملة المنصور على السودان

يمكن حصر الأسباب التي دفعت بالمنصور إلى غزو السودان فيما يلي :

1/ العامل السياسي :

فالمنصور السعدي كان يعتبر نفسه خليفة ،ويستمد سلطة الخلافة من نسبه الشريف الذي يرتبط بآل البيت وشجعه على ذلك فتح تيكورارين والتوات على التمادي في فتوحاته جنوبا لأنه أمن كل مضايقه من الخارج [1].

وقد استعمل المنصور السعدي مسألة الخلافة على المسلمين كحجة أساسية داخل المغرب ،ومع من اتصل بهم من قادة الدين والفكر الإسلامي في الشمال الإفريقي والعالم العثماني ولدى ملوك السودان أيضا لتبرير الحاق امبراطورية سانغاي[2] بالمغرب وكان يربط ذلك بأمرين

*واجبه في الدفاع عن ديار الإسلام يقتضي أن يضع يده على مقدرات المسلمين وخيرات أرضهم لغرض النهوض بمهمة الجهاد باعتباره خليفة لرسول الله عليه الصلاة والسلام فواجبه أن يجاهد وأن يتبعه المسلمون في ذلك قادة ورعايا .

*مركزه كقائد أوحد يفرض عليه أن يحمل المسلمين على الوحدة باللين أو بحد السيف، ويرجع اعتبار المنصور السعدي نفسه الخليفة الوحيد للمسلمين نظرا لإنفراده بين ملوك المسلمين وأمرائهم بالنسب الهاشمي القرشي أي نسب الرسول عليه الصلاة والسلام وهذا نابعا عن قناعة عمل المنصور على

[1] إبراهيم حركات ،المرجع السابق ، ص 298 .

[2] **امبراطورية سونغاي** : تأسست هذه الدولة في القرن السابع ميلادي واستمرت في القوة واتوسع حتى القرن 16م ويرجع تأسيسها إلى محمد أسكيا الملقب بأسكيا الكبير ،وقد تأخرت في طور الضعف نتيجة انهماك الأمراء المتأخرين في المنازعات الداخلية التي أعاقة اهتمامهم بشؤون الدولة وخدمة البلاد وقد انتهى وجود هذه الدولة هذه الدولة بعد حملة السلطان المغربي أحمد المنصور على البلاد سنة 1591 م (أنظر : عبد القادر زبادية ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 م – 1591م** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، (د. ت) ،ص 25 .)

ترسيخها واذاعتها بين المسلمين وخاصة عندما برزت قوة المغرب السياسية والاقتصادية والعسكرية ،فالسلطان أحمد المنصور كان يرى أن أمر الخلافة مستمدا من نسبه الشريف [1].

وخلال اجتماع أحمد المنصور بمجلس ملأ المسلمين لمناقشتهم في أمر ارسال حملة السودان ،قرر أمامهم بأن السلطان الزنجي مخلوع شرعا لأن شرط أساسي من شروط الخلافة ينقصه وهو النسب القرشي ،ومن هذا المنطلق رأى المنصور أنه مادامت الخلافة واجبة شرعا ، فمن حقه وواجبه تجاه المسلمين ان يبسط خلافته النبوية على البلاد المجاورة له ،ويجب على جمهرة المسلمين بتلك الأصقاع مأمورون بألا يعيشوا إلا في ظل امارة عامة في اطار خلافة شريفة ، وإن لم يكن هذا فقد خالفوا أمر دينهم وتعرضوا للاكتساح والعقاب ، وهذا ما برر جميع الاعمال التي قام بها الجيش السعدي ضد المسلمين ،وقد صدر المنصور كل الرسائل التي وجهها إلى علماء السودان واعيانه وقادته والطلب منهم تسهيل مهمة الجيش السعدي الغازي ، وطلب المبايعة وذالك مصداقا لقوله تعالى {**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسنوتيه أجرا عظيما ..**}[2]

وحيث كانت الخلافة بالنسبة للمنصور ،مقاما ومنصبا وعظمة دل الله المسلمين عليه ليرفعوه اليه ،فإنها على ذلك الاعتبار تنطلق من منطلقين :

* من كون الخليفة ضوء الهداية الربانية على الأرض المستمرة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وسلطته مستمدة من الله وهو يحكم الناس بهذه السلطة الربانية.

* من ضرورة حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية ...أي أنها في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا بذالك الشرع نفسه.[3]

[1] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 106 -107 .
[2] سورة الفتح ، ج26 ،الآية (09 – 10) ، ص 512 .
[3] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 107 – 108 .

كما يعتبر الجانب الجهادي من بين أبرز العوامل التي دفعت بالسلطان السعدي بتوجيه حملته نحو السودان ،وهذا راجع إلى

* فالدولة السعدية قامت على الجهاد ضد الاحتلال البرتغالي ،ومن هذا المنطلق كانت عملية غزو السودان والتي يعتبرها المغاربة فتح من ضمن المهام المنوطة بها دينيا ووطنيا .

* ضف إلى ذلك أن هذه العملية كانت كرد فعل مباشر ضد سقوط الأندلس وماكان يعانيه من تبقى من المسلمين هناك ،لذلك فلا غرابة أن نرى وقوف الأندلسيين المطرودين والمغاربة صفا واحدا لغزو السودان وتركيز الإسلام به .

*الوجود الاجنبي بالسواحل المغربية ،وتطلع أوربا المسيحية إلى جولة إنتقامية فوق البر الإفريقي .

المستعمرات البرتغالية تجاه ساحل السنغال والتمركز الإسباني في جزر الكناري يحملان أخطار الإحتواء الأوربي لأراض واقعة في بلاد الإسلام وتستوجب حمايتها والجهاد من أجلها .[1]

كما أن تفكير العاهل المغربي في توجيه حملة للسودان وضمها إلى المغرب من أجل وضع حد للأطماع التركية والبرتغالية إلى اللأبد والتحكم في تلك الأطماع .[2]

كلها دوافع اعتمدها المنصور لتبرير حملته على السودان ، والعامل السياسي والديني غير كافيين كمبرر لعملية الغزو والدليل على ذلك.

أن أحمد المنصور لم يوجه ضمن حملته أشخاصا مؤهلين للقيام بالدعوة الإسلامية وهذا مايؤكد عدم اهتمامه بنشر الإسلام ،وأكثر من ذلك فإن الحملة لم تتوفر على أئمة ووعاظ للجيش نفسه من بين الاف الخبراء الذين رافقوها ،فالحملة تشكلت من القادة وكلهم أجانب .[3]

[1] محمد رزوق ، **دراسات في تاريخ المغرب** ،ط1 ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المغرب ،1991 م، ص106 .
[2] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 148 .
[3] نفسه ، ص 131 .

..فجوذر باشا إسباني من لاس كويفاس القريبة من غرناطة وومحمود باشا بن زرقون قائد جيش النار الأندلسي وولد في إسبانيا هو ايضا والفتى عمار ولد وترعرع في البرتغال حتى أن لغتهم لم تكن هي اللغة العربية وهناك من كان مشكوك في إسلامه .[1]

2/ **العامل الاقتصادي** :

كانت موارد المغرب أدنى من أن تتسع لسد حاجيات الدولة من نفقات عسكرية ومنشآت عمرانية واجتماعية ،وكان معروفا عن السودان أنها تتوفر على معادن الذهب [2].

وهذا ما دفع بالسلطان المغربي أحمد المنصور لاستغلال خيرات السودان للجهاد في إسبانيا وإرجاعها إلى حظيرة العرب [3]وهذا ما يؤكده مؤرخه عبد العزيز الفشتالي مبررا استغلال خيرات السودان ".....اليوم أيده الله لهذا العهد للإكثار من الأساطيل رغبة في الجهاد والاستظهار على عدوا الدين وذلك بالاستلاء على الممالك السودانية المعينة بخراجها المستبحر ومعادن الذهب على التوسع في الأنفاق الذي لا يخشى علية ولافقرا وبالسواد الأعظم المستاق من رقيقها على تسخير المجاذيف الثقيلة بالأساطيل كأجنحة الطير خفقانا وسرعة وطيرانا ...[4]

ونظرا لتنوع الخيرات الموجودة ببلاد السودان كالملح والذهب والعاج والنحاس وغيرها من الثروات الأخرى تطلع السلطان أحمد المنصور للاستفادة منها ولقد كانت لكل ثروة أهمية خاصة بالنسبة للمغرب.

فالملح كان يمثل احد الأعمدة الأساسية في التجارة العامة للأقاليم السودانية ،كما أن أماكن تسويقه امتدت إلى جهات تبعد الاف الكيلومترات عن مناجمه ،ولفتت أهميته التجارية نظر كل الرحالة

[1] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 131 .
[2] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ،ص 298 .
[3] محمد رزوق ،المرجع السابق ، ص 106 .
[4] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 197 .

والمؤرخين الذين قصدوا هذه الجهات او تلقو معلومات عنها وقد كان الملح يستبدل مقايضة بالذهب أومقابل الودع وأنياب العاج ،إن هذه الثروة التي كانت تقع ضمن بلاد البيض في تاودني وتغازي تسببت حتى قيام الدولة السعدية في متاجرات متنوعة الأبعاد بين المغرب وممالك السودان.[1]

أما بالنسبة للعاج والبيشر والنحاس فقد برزت أهمية كل نوع من هذه الأنواع في أوقات معينة وضمن ظروف خاصة .[2]

ومما لاشك فيه ان أحمد المنصور لما عادت الوحدة والقوة لمملكته ،كان يطيل التفكير لافي موضوع الملح ولكن في كل خيرات السودان وكان يدبر لا لأمر وضع اليد على تغازي ولكن وضعها على البلاد برمتها ،فقد بدأ منذ وقت مبكر في رسم سياسة توسعية خاصة أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في الصحراء لتكون نقاط ارتكاز للتوسع ووضع الخطط لاحتلال الصحراء الوسطى والسنغال ليستعين بفتحها على توفير المقاتلين لعملياته الكبرى

لكن يبقى الهدف البارز للمنصور وهو الحصول على الذهب لتلبية متطلبات التوسع الاقتصادي ولخدمة جملة من المخططات الخارجية ،ولاشك أنه عمل جاهدا على كسب دول أوربية إلى صفه لاحتلال اسبانيا ثم الوثوب على مستعمراتها القريبة والبعيدة كما أنه رأى في الوجود الإسباني البرتغالي على التراب المغربي نفسه عارا يجب إزالته ،ومن أجل كل ذلك كان عليه أن يملأ قبضتيه بالذهب وينبري لمخاطبة أعدائه واصدقائه معا وهو قوي ماليا ،محاط بجيش مستعد لتنفيذ كل مهمة .[3]

[1] **تغازي** : قرية شمال مالي الحالية وحولها سبخة من الملح الحجري تقع في منطقة كبرى تعتبر الثانية في الصحراء ، حفرت هذه المملحة بعد احتلال المغربة لها في حملة المنصور الفاشلة سنة 1884 م (أنظر : محمد الصغير الوفراني ، المصدر السابق ، ص 159 .وعبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 91 .)

[2] محمد الغربي ، المرجع السابق ،ص 117- 118 .

[3] نفسه ،ص 120 ،125.

3/ العامل العسكري :

لقد استغل السلطان المغربي أحمد المنصور تفوقه العسكري وما يتوفر عليه الجيش المغربي من أسلحة فتاكة خلافا لما كانت عليه الحال بالنسبة للدول المغربية السابقة التي لم تخرج عن عساكر الخيل والفرسان الرامحة وعصائب الرماة الناشبة ، هذا فضلا عما كانت تتوفر عليه المغرب من قواعد الانطلاق نحو بلاد السودان في كل من توات[1] وتيكورارين[2] وقد اتخذ المنصور من التجار الذين كانوا يتاجرون مع بلاد السودان ، ويقطعون الفيافي والقفار للوصول إليه مثالا يمكن الاقتداء به .[3]

وفي المقابل لم تكن بلاد السودان تتوفر على قوة عسكرية حديثة التنظيم والتسليح كما هو الحال بالنسبة للمغرب فليس للجيش السعدي مدافع ولا حتى بنادق

وقد بلغ عدد أفراد الجيش السعدي مابين أربعة آلاف و5000 من الخيالة فيهم نصارى ومسلمون من الأندلس ،بالإضافة إلى ألفي راجل و1500 عربي مسلحين بالرماح و100 إبل وحوالي ألفين من قوات المدفعية والبحرية وهناك إختلاف بين المؤرخين حول مجموع الجيش السعدي الذي يتراوح حسب الروايات ثلاثة آلاف فقط وإثنين وعشرين ألفا ،وكان يصحب الجيش حوالي 8000 جمل وألف من الخيل محمل بالأمتعة ،على أن تقديرات الروايات المسيحية أقل من هذا بكثير ،وبلغ قادة هيئة أركان حرب الجيش السعدي عشرة عينهم جميعا المنصور .[4]

[1] **توات** : إقليم يقع في الجنوب الشرقي للمغرب ،جنوب إقليم فكيك ويوجد حاليا ضمن منطقة الزاب الجزائرية وأهم واحاته على وادي الساورة ،وقد قام المنصور بتمهيده سنة 991 هـ عن طريق قائديه أحمد بن الحداد الغمري ومحمد بن بركة .(أنظر : أحمد بن القاضي ، المصدر السابق ، ص 246 .

[2] **تكورارين** : إسم لمنطقة فسيحة واقعة في شمال إقليم توات ،يسكن أهلها بخمسين قصرا متفرعة وبأكثر من مائة مدشر وسط النخيل الفسيح ،أهلها أغنياء وينتقلون كثيرا إلى السودان من أجل التجارة التي تدر عليهم أرباحا طائلة كما تمثل هذه المنطقة وتجمع بالنسبة للقوافل التي تعبر صحاري ليبيا (أنظر : مارمول كاربخال ، المصدر السابق ، ج3 ، ص 163) .

[3] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 107 .

[4] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 298 ،303.

المبحث الثاني : مراحل حملة السلطان أحمد المنصور على بلاد السودان

أما عن المراحل التي مرت بها حملة أحمد المنصور على السودان منذ بداية التفكير فيها فهي كما يلي

1/ **المناوشات الاولى حول الملح** :في نهاية القرن التاسع للهجرة توجه محمد أسقيا إلى الحج وهو أول من ملك من آل أسقيا الذين قيل إن أصلهم من صنهاجة[1] ،ثم اتصل بالخليفة العباسي بمصر واستأذن أن يحكم باسمه بلاد السودان وفي عهد أسقيا إسحاق[2] طلب منه محمد الشيخ أن يتنازل له عن ممالح تغازي فرفض أسقيا إسحاق واشتبكت قوات من الطوارق مع جيوش السعديين بدرعة ثم انسحبوا بعد أن قاموا بعمليات السلب والنهب في غيبة الملك السعدي ،وفي عهد المهدي دخلت تغازي في حكم الدولة السعدية .[3]

وأمام هذا الوضع قاطع السودانيون ملح تغازي والقوافل التي تمتار منه الأمر الذي أجبر المولى محمد الشيخ على التفاوض مع الحاكم السوداني على أن يتخلى المغاربة عن بعض خراجها للأسقية مقابل تسريح بيع الملح الذي تستامه العير الى بلاده من هذا المعدن ،فكان اسقيا يبعث من يحمل له نصيبه من الخراج دون أن يكون له قبض ولابسط في أحكام البلد والمعدن وسرعان ما تغيرت الأوضاع بعد مقتل محمد الشيخ من قبل الأتراك واضطراب البلاد ،فاستأثر أسقيا بمناجم تغازي لأمد بعيد ولما تولى أحمد المنصور وأخذت اوضاعه الداخلية والخارجية تعرف نوعا من الاستقرار بدأ في رسم سياسة توسعية خاصة أساسها التمركز في مواقع استراتيجية هامة في الصحراء المغربية واتخاذها نقاط ارتكاز للتوسع فيما جاورها ثم بلاد السودان ثانيا[4]

---

[1] **صنهاجة** : تشكل صنهاجة أول إقليم مأهول غرب صحاري ليبيا لأنه يبتدئ عند شواطئ المحيط ويشمل كل المساحة الممتدة بين رأس نون ونهر النيجر الذي يسميه أهل البلد سنيديك ويسميه العرب واد النجار ،أما الشعوب التي تقطن هذه الديار هم الرابر (أنظر ،مارمول كاربخال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 179) .

[2] **أسقيا إسحاق** : يعتبر من أهم الملوك الذين حكموا بلاد سنغاي إلى أيام الأسقيين ،دخل في صراع مع المغاربة من أجل ممالح تغازي في عهد أحمد الأعرج (أنظر : عبد القدر زبادية ، المرجع السابق ، ص 45 – 46 .).

[3] إبراهيم حركات ،المرجع السابق ، 299 .

[4] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 148 .

2/ مبايعة ملك بورنوا 990 هـ :في سنة 990 هـ وجه ملك بورنوا[1](إدريس الثالث) الى المنصور خطابا يطلب فيه أن يمده بقوات من المغرب وأسلحة تمكنه من إخضاع بعض قبائل السودان وذلك بعد أن أخفق في مسعاه لدى السلطان العثماني وأرفق ذلك بهدايا ضمنها عددا من النساء والرجال ممن كانو يعتبرون رقيقا يومئذ ،فرد عليه المنصور بهدية أخرى[2] .

ويقول عبد العزيز الفشتالي في هذا الصدد " .....ثم وصل عام تسعين 990 هـ /1582 م رسول صاحب مملكة بورنو من ملوك السودان وجلب في هديته ماجرت عادتهم أن يجلبوه في مهاداتهم من فتيان العبيد والإماء المختلفة الاسنان وكان من ذلك عدد كثير ناهز المئتين ..وكان من أغراض الرسالة التي أنفذه فيها سلطانه طلب المدد من أمير المؤمنين أحمد المنصور بالعساكر والأجناد وعدد من البنادق ومدافع النار لمجاهدة الكفار .[3]

ومما لاشك فيه أن التنافس السياسي والاقتصادي ببلاد السودان بين بورنو وكاغ كان له أثر كبير في توجه إدريس الثالث إلى طلب النجدة العسكرية من المنصور ، بعد أن فشلت المحاولات التي قام بها مع السلطان العثماني من قبل ،ويعتبر وصول رسول بورنو الى فاس بداية لمرحلة جديدة في التاريخ المغربي في العهد الحديث ،لأن هذا الوفد أوضح للمنصور واطلعه على أحوال بلاد السودان عامة وبورنو خاصة ليشرع في تنفيذ سياسته التوسعية . وقد كانت الخطوة الأولى لتحقيق سياسة التوسع وهي الاستيلاء على منطقتين رئيسيتين بالصحراء الجنوبية والشرقية للمغرب وهما توات وتيكورارين وهذا راجع الى الدور الهام الذي ستقوم به هاتان المنطقتان لتحقيق اطماعه التوسعية ببلاد السودان [4]

ويقول عبد العزيز الفشتالي عن هذين القطرين .. هذا الإقليم المفرع الى قطر توات وهو أوسع وطنا وافسح مجالا واقرب للسودان اتصالا وجوارا والى قطر تيكورارين وهو أعظم اشتهارا وأعرف نقيبا واشد

[1] **بورنوا**: تقع في المنطقة المحيطة بتشاد ونهر الكاميرون وهي اليوم تشملها جمهورية تشاد وقسم من شمال نيجيريا (أنظر : سمية زيوان وصباح خنشة ، **العلاقات الخارجية للدولة السعدية (القرن 10هـ/ 16م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، جامعة الأغواط ، الجزائر ،2015 ، ص 92 .

[2] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 299 .

[3] عبدالعزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 67 .

[4] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 149 -150 .

شوكة وأخشن جانبا واعظم اقاليم المغرب واكثرها امما وافسحها خطة انتظم عرانه واتصلت نخيله وتراصفت قصوره عل مسافة ثلاثين مرحلة أو أكثر ....[1] .

فإحتلاله لهاتين المنطقتين يمكنه من قطع الطريق على الأتراك بالجزائر اذا مافكرو في التوجه نحو غربي إفريقيا وبلاد السودان بوجه خاص وقد استغل السلطان أحمد المنصور طلب المساعدة التي تقدم بها ملك بورنو ،حيث خرجت حملتان عسكريتان لفتح توات وتيكورارين سنة991هـ/ 1583م الاولى بقيادة أبي عبدالله محمد بن بركة والثانية بقيادة أبي العباس أحمد بن الحداد العمري المعقلي وبعد أن إلتقت القوات الفاتحة بسجلماسة[2] قاعدة قصور تيكورارين وفرضت عليها حصارا بعد أن رفض أهاليها اعلان الطاعة والولاء للمنصور وبعد معارك طاحنة فتحت المدينة بفضل الأسلحة النارية التي تتوفر عليها القوات المغربية وبعد تيكورارين قصدت القوات المغربية (تمنطيط) قاعدة قصور توات فاسرع رئيسها عمر ابن محمد بن عبد الرحمان الى اعلان الطاعة الى المنصور لما أدرك أنه لاقدرة له على مقاومة عساكر المنصور وهكذا حقق السلطان المغربي الخطوة الأولى من سياسته التوسعية تجاه السودان معتبرا هذا النصر بمثابة العامل المشجع على التمادي في طرق التوسع [3]

3 /اتصال الثائر علي بن داود بالسلطان المنصور :

كان لوصول علي بن داود[4] الى مراكش في جمادى الأولى 997 هـ /أفريل 1589 م فرصة عظيمة مكنت المنصور من الاطلاع على خبايا الأوضاع بالسودان وماكانت عليه البلاد من فوضى وانقسام

---

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 73 .

[2] **سجلماسة** : يحمل هذا الإقليم اسم عاصمته ،يخترقه نهر زيز الذي ينصب من بين جبال الأطلس الكبير فيمر بغرس العيون وكنانة والمداغرة والرتب ،يمتدإقليم سجلماسة على مسافة طولها أربعون فرسخا وأهله برابر ينتمون إلى قبائل زناتة وزناكة وهوارة المتاخمين لبلاد المرابطين (أنظر : مارمول كاربخال ، المصدر السابق ،ج3 ، ص 152 .

[3] عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ص 150 – 151 .

[4] **علي بن داود** : لم ينتسب عن طريق الد م إلى العائلة المالكة بل كان خادما لها ولد من أم في القصر الملكي وكان سيده أسقية إسحاق وقد غضب منه لأنه كان خليعا فقام بسجنه في تغازي لكنه فر من السجن وهرب الى مراكش (أنظر :إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 300 .

داخلي فقد اطلع الثائر علي بن داود المنصور على أخبار أهل سنغاي وبم كانو عليه من الأحوال الذميمة والطبائع الرذيلة من ضعف القوة وحثه على أخذ الأرض من أيديهم [1].

ويقول عبد العزيز الفشتالي "...وقبض ولد سكيه الوافد على الحضرة في مغيبة بأن يكتب الى أمير المؤمنين يرغبه على إمداده بالعساكر ليجلب بها على السلطان بكاغوا وطير به أمير المؤمنين لناحيته مع رسوله الى اسكية صحبة رسالة مخاطبا إياه ب:

* تسريح العير التي تمتار الملح من هذا المعدن الى بلاده وتهدده بما أنفذه اليه من كتاب اخيه المعتمد في شأن الإجلاب عليه بعساكر المغرب ....[2]

*الدخول في طاعة الخلافة المغربية " فأنا ندعوكم الى مافيه ان شاء الله الخير العاجل ..والدخول فيما دخلت فيه جماعة المسلمين من مبايعتنا والإئتمام بشريف امامتنا

* اطلاعه على طلب النجدة التي تقدم به أخوه علي بن داود اللاجئ بمراكش فيقول " وها نحن أمهلناه في الجواب ....حتى نرى ان شاء الله مايبدوا منكم " وكأن المنصور أخذ يلوح لأسكيا إسحاق بإمكانية مساعدة أخيه الذي هو مستعد بطبيعة الحال إعلان طاعة المنصور والاستجابة لرغباته متى استقر له الأمر بالسودان [3].

لكن اسكيا اسحاق رفض الإستجابة لمطالب المنصور، بل قبح له في الكلام وبعث له صحبة جوابه حرشانا ونعلين من حديد ،اشارة الى أنه بعد انتصاره على المنصور سيضعهما في رجليه مما آثار المنصور ودفعه الى التعجيل بالتدخل في السودان ضد الأسقيا إسحاق وبعد عقد المنصور لمجلس الشورى الذي ضم الملأ من طبقات الاجناد وذوي الحل والربط.....وذوي الخبرة والنباهة وصدع لهم

[1] عبد الرحمان السعدي ، **تاريخ السودان** ،تح : هوداس ، مطبعة برين ، باريس ،1981، ص 137 .
[2] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 122 .
[3] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 155 .

بذات صدره معلنا لذلك الملأ ألايدخر رأيا مصمما على توجيه حملة عسكرية...وأنه غير مستنكف من حق يوضحونه بحجة ولامتوقف عن الرجوع الى صواب يثبتونه ببرهان [1]

وأخيرا تم تجهيز حملة لإخضاع بلاده وقيل أن جوابه على خطاب المنصور كان قبيحا .

4 / الحملات على بلاد السودان :

4-1/الإعداد للحملة :لقد قام السلطان المغربي أحمد المنصور بتجهيز حملته إلى السودان وإعداد كل ما يلزمه من خيل وبغال وإبل وبارود ومدافع ومهاريس وبنادق وخشب للمراكب ومقاذيف وحديد وقنابل وبراميل للماء وغير ذلك من اللوازم .

كماتم استعراض الجيش في السادس من ذي الحجة بظاهر مراكش سنة 998هـ /1590 م ولكنه لم يتحرك إلا يوم فاتح سنة 999هـ وقام بإسناد قيادة الجيش إلى جؤذر[2] بعد ترقيته لرتبة باشا ويعتبر جؤذر باشا من أكبر الضباط السامين كفاءة وصرامة وإخلاصا والدليل على ذلك أنه لم يتم إعدامه بعد محاولة قادة الجيش الإطاحة بأحمد المنصور في بداية حكمه .[3]

وإلى جانب هذه الاستعدادات حرص المنصور على استمالة علماء السودان والتعاون معهم وخاصة قاضي تنكبتوا عمر بن محمود بن عمر المسموع الكلمة في أجيال السودان الذي بعث اليه في شوال 998هـ يعرض عليه الدخول في طاعته ويطلب منه دعوة السودانيين الى إمامته لتكون أولى من لبى داعيها ولترفعوا بها عقيرتكم في تلكم الأقطار وقد نوه المنصور في هذه المراسلة بمقام القاضي الرفيع في بلاد السودان ،كما أعلمه في ختام الرسالة بقرب وصول الحملة المسلحة المغربية الى السودان

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 155 .

[2] **جؤذر** :من أصل إسباني من إحدى قرى غرناطة التحق بجيش مع أخيه محمود باشا بجيش السلطان المغربي أحمد المنصور وأصبح من كبار قادته (أنظر : عبد الرحمان السعدي ، المصدر السابق ، ص 208).

[3] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 303 .

ولما انتهى الاستعداد للحملة وجرى احتفال استعراضها يوم الاثنين 16ذي الحجة 998 هـ بحضور الخليفة المنصور والجمهور العظيم وفي مطلع شهر محرم لعام 999هـ أخذت الحملة طريقها نحو السودان بقيادة جوذر باشا الذي جعل له المنصور هيئة استشارية عليا من كبار القواد .[1]

أما من الناحية العسكرية فقد بلغ عدد أفراد الجيش السعدي ما بين أربعة آلاف و5000 من الخيالة فيهم نصارى ومسلمون من الأندلس ،بالإضافة إلى ألفي راجل و1500 عربي مسلحين بالرماح و100 إبل وحوالي ألفين من قوات المدفعية والبحرية وهناك اختلاف بين المؤرخين حول مجموع الجيش السعدي الذي يتراوح حسب الروايات ثلاثة آلاف فقط واثنين وعشرين ألفا ،وكان يصحب الجيش حوالي 8000 جمل وألف من الخيل محمل بالأمتعة ،على أن تقديرات الروايات المسيحية أقل من هذا بكثير ،وبلغ قادة هيئة أركان حرب الجيش السعدي عشرة عينهم جميعا المنصور.[2]

4-2 /الإعداد للغزو العسكري وتوديع الحملة

: في الوقت الذي كان يهيئ أحمد المنصور الذهبي الجو الدولي ويخلق الظروف الأكثر ملاءمة للإقدام على تنفيذ حملته ،كان يوالي استعداداته العسكرية لحملته بهمة ونشاط ،فقد مهد أولا الطريق المؤدية إلى عتبة الصحراء ومداخل السودان بواسطة حملتين عسكريتين ونتيجة لما اكتسبه من تجارب ثمينة من الحملات السابقة وما استخلصه بصفة أخص من دروس بعد الحملة الفاشلة التي تاهت وهي في الطريق الى تنبوكتوا ،فقد اجتهد في تهيئ جيش بمقدوره أن ينجز مهماته في أصعب الظروف المناخية وأن يحافظ على تماسكه وكفاءته القتالية [3]

وبعد الانتهاء للحملة دعا أحمد المنصور إلى القيام باستعراض عسكري تحذوه احتفالات كبرى على مدار أسبوعين بوادي تنسيفت بداية من يوم الاثنين 16 ذي الحجة 998هـ / 25 أكتوبر 1590

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 158 – 159 .
[2] إبراهيم حركات ،المرجع السابق ،ص 303 .
[3] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 165 .

إلى الفاتح محرم 999هـ / 10نوفمبر 1590 م وكان أحمد المنصور يهدف من وراء هذا الاحتفال إلى تقوية العامل النفسي للعساكر الغازية .[1]

5/ بداية الحملات :[2].

5-1 / الحملة الأولى : وبعد إعداد العدة اللازمة لعملية الغزو سلكت الحملة طريقا عرف فيما بعد بطريق جوذر باشا ،وهذه الطريق تتجه من مراكش نحو لاكتاوا في أعالي وادي درعة ومنها إلى تندوف فتغازي وتاوديني فقرية كابترا التي تقع على نهر النيجر غربي العاصمة تمبوكتوا [3] .

وكان من بين أفراد الحملة عدد من التجار كأدلة ومرشدين ،وبعد وصول الحملة الى البحر عند قرية كربر فنزلو هناك وعمل الباشا جودر صفرة كبيرة لإطعام الطعام فرحا لوصولهم البحر سالمين وكان ذلك يوم الأربعاء الرابع من جمادى الأولى في العام التاسع والتسعين بعد الهجرة وهكذا تكون الحملة قد اجتازت مسافة تقدر بنحو ألفي كيلو متر خلال أربعة أشهر تقريبا منذ خروجها من مراكش أوائل محرم الى أن وصلت نهر النيجر أوائل جمادى الأولى وهذا بعد أن قامت بنحو ستين مرحلة .

ومع العلم أن بلاد السودان خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العاشر للهجرة 90-999 هـ /81- 1591) تعيش أوضاع داخلية سيئة ،بسبب عوامل مختلفة أهمها : استبداد الحكام

وتمرد الولاة في المناطق المختلفة وعدم تحديد مبدأ لوراثة العرش ،الامر الذي جعل الخروج والثورة على الحاكم الطريق الوحيد لتولي السلطة وقد ترتب عن ذلك أن أصبحت البلاد تتعرض لسلسلة من الأحداث والنكبات وهذا مايؤكد صحة كلام علي بن داود للسلطان أحمد المنصور لما نقل له أحوال السودان [4].

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 159 .
[2] أنظر الملحق 05 ص 73
[3] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 136 .
[4] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 160 .

ولم يزل جوذر ينتقل من مراكش مرحلة فمرحلة إلى أن بلغ عمائر تنبوكتوا واحتل بعمالتها فلقي هناك إسحاق في جنوده وكان إسحاق منذ أن سمع بخروج الجيوش المغربية وتوجهها إليه حشد جنوده وبعث في المدائن حاشرين وجمع جموعا عديدة ويقال أنه جمع مائة ألف مقاتل وأربعة ألاف وكان على أهبة الاستعداد [1] .

ويقول عبد العزيز الفشتالي "..أن الأسكيا لم يقنع بالجيوش التي جمعها وصار يضيف إليها الشيوخ والسحرة وأهل النفث في العقد وأرباب العزائم والسيميا .." [2].

وبعد ان وصلت الحملة المغربية إلى" كارابار" على نهر النيجر(بحر النيل) جددت نداءات الامان للسودانيين كما قام جوذر بعد إقتراب الحملة من كاغو بمراسلة أسكيا إسحاق لمعرفة رأيه الاخير في مطالب المنصور .

وعلى ثلاثة مراحل من كاغو جرت المعركة في موضع يقال تنكندبغ وهو في قرب مدينة تندبي [3]حيث اعترضت العساكر المنصورية غابة أشبه ملتفة الشجر صعبة المسلك من إشتباك دوحها فلم يتأت لهم قطعها على التعبئة والإنتظام بل سلكوها زرافات ووحدانا ومامرقوا منها إلا وقد الفو العدو أخذ مراكزه بحومة الوغى التي بين يديها ونظم تعبيته فعاجل العساكر الأمامية بالقتال من دون إنتظام وترتيب المصاف ....وثبتوا وبادر كل من العساكر مركزه والوقوف تحت رايته [4] .

والتحمت الحرب من لدن الضحى إلى قرب العصر فطحنتهم رحى الحرب وصيرتهم كأعجاز نخل خاوية ونجا إسحاق بنفسه في قليل من حاشيته فلم تغن حرشانهم ورماحهم مع البارود شيئا وولو الأدبار وحكمت في رقابهم سيوف جوذر وجيوشه ،حتى كان أهل السودان ينادون نحن مسلمون نحن إخونكم في الدين والسيوف عاملة فيهم ،وكان ذلك كله في السادس عشر من جمادى الاولى عام

[1] محمد الصغير الأفراني ، المصدر السابق ، ص 166 .
[2] عبد العزيز الفشتالي ،المصدر السابق ، ص137 .
[3] عبد الكريم كريم ،المرجع السابق ، ص 161 .
[4] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، 137 .

تسعة وتسعين وتسعمائة ولما فر إسحاق تبعه جوذر بعد ان إستولى على تنبوكتو وسائر مايواليها من المدائن والقرى وبعث جوذر للمنصور يخبره بالفتح وبهدية عظيمة فيها عشرة ألاف مثقال ذهبا ومائتين من الرقيق وغير ذلك [1] .

ولما وصلت البشرى الى مراكش أقيمت الأفراح وكتب المنصور إلى الجهات المختلفة يزف إليها النبأ العظيم ،ومن ذلك الرسالة التي أرسلها من مراكش يوم الجمعة 7 شعبان 999هـ /31 ماي 1591 والتي تضمنت أخبار مفصلة للحملة الى ان تحقق الظفر والنصر [2].

ولم يزل في مطالبة إسحاق الى ان قطع بحر النيل (نهرالنيجر)، فقطعه جوذر بجيوشه وتبعه إلى أنحاصره في مدينة كاغوا والتي كانت دار الملك إسحاق ، ثم إن إسحاق قام بمراسلة جوذر يطلب منه الصلح على ضريبة يبذلها له في كل سنة وأموال طائلة يؤديها ،على ان يتركه في دار ملكه فأعجب ذلك جوذر وبعث للمنصور يستشيره في ذلك ، فأنف المنصور من ذلك وامتنع كل الإمتناع وكتب لجوذر على ظهر رسالته بخط يده[3] بعد بسم الله الرحمان الرحيم { ...**قال أتمدونن بمال فمآ ءاتين الله خير ممآ ءاتيكم بل انتم بهديتكم تفرحون ارجع اليهم فلناتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون** }[4]

5-2 /الحملة الثانية :1000هـ / 1591 م

قد يكون جوذر باشا قد نفذ شروط الصلح فعلا إلا ما كان من إنسحاب الجيش المغربي ولذلك اشتد غضب السلطان احمد المنصور الذي قام [5]بعزل جوذر عن إمارة الجيش وأبقاه على إدارة البلاد المفتوحة من السودان وعين على رأس القوات المحاربة محمود باشا بن زرقون الذي أرسله على وجه

[1] محمد الصغير الأفراني ، المصدر السابق ، 167 .
[2] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، 162 .
[3] محمد الصغر الأفراني ،المصدر السابق ، ص 167 .
[4] سورة النمل ،ج 19 ،الآية 36(- 37) ، ص 380 .
[5] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 305 .

السرعة الى تنكبتوا التي وصلها يوم الجمعة 26 شوال 999هـ /17أوت 1591 م وشرع حالا في تنظيم القوات المسلحة لمتابعة الحرب ضد إسحاق حتى الاستسلام أو القضاء عليه .

ومن الوسائل التي اتخذها محمود باشا بناء الأساطيل والسفن لعبور نهر النيجر(بحر النيل) وملاحقة قوات أسكيا إسحاق وقد إصطدم الفريقان في منطقة (بنب) شمالي نهر النيجر بين مدينتي كاغوا وتنكبتوا يوم الإثنين 25 ذي الحجة999هـ / 14 أكتوبر 1591 م وإنتهت المعركة بانهزام اسحاق وفراره فتوجهت القوات المغربية نحو كاغوا ومنها تصاعد محمود باشا مع النيل رفقة بقية عساكره لتتبع أثر العبد أسكيا وهذا كله رغبة في إستئصاله وخاصة بعدما أخذت مقاومته تضعف لتخلي الكثير من السودانيين عنه ومن ذلك أخوه في نحو ثلاثمائة من رجاله ووجوه عساكره ورؤساء دولته الذي أخذ يتعاون مع محمود باشا ضد أخيه أسكيا وواصلت القوات المهاجمة مطاردة إسحاق الذي انتهى به السير الى القاعدة الشهيرة الصيت المدعوة كوكية .

وأمام التهديد بإستعمال القوة ضد الذين آووه فقد أجبرهم على قتله أولعل إسحاق إنتحر بتجرعه السم خوفا من أن يسلمه هؤلاء إلى محمود باشا [1].

وبذلك إنتظمت الممالك السودانية في سلك طاعة المنصور مابين البحر والمحيط من أقصى أرض المغرب إلى بلاد كنوا المتاخمة لبلاد بورنوا فأذعن صاحب بورنو للطاعة وتنتهي مملكة بورنو إلى بلاد النوبة المتاخمة لصعيد مصر .[2]

ولما كتب محمود باشا إلى السلطان أحمد المنصور يخبره بهذا النصر كان ذلك اليوم عنده عيدا من الأعياد حيث أخرج فيه الصدقات وأعتق الرقاب وأقام مهرجانا عظيما بظاهر الحضرة خرج له عامة الناس للفرجة والنزهة وزينت الأسواق ...وتسابقت الخيول ،وأطعم المنصور الناس عدة أيام ونظم الشعراء قصائدهم ورفعو أمداحهم ،وأجازهم بم تحدث به الناس دهرا وكتب بخبر النصر وصورت نسخ منه ووجهت إلى مختلف الآفاق.

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص 163 – 164 .

[2] محمد الصغير الأفراني ، المصدر السابق ، ص 168 .

وكان مما قيل في ذلك من الشعر ماكتبه الكاتب أبو فارس عبد العزيز الفشتالي فقال:

جيش الصباح على الدجا متدفق فبياض ذا السواد ذلك يمحق

وكأنه رايات عسكرك التي طلعت على السودان بيضا تخفق

لاحت وأفقهم ليال كله كعمود صبح في الدجا يتألق

نشرت لتطوى منه ليلا دامسا أضحى بسيفك ذى الفقار يمزق

إلى آخر بيت في القصيدة

مادام ذكر علاك في صحف الثنا أصل الفخار وكل غيرك ملحق

ولما تحقق غزو بلاد السودان حمل إلى المنصور إليه من التبر مايعيي الحاسبين ويحير الناظرين وأصبح في بابه كل يوم أربع عشرة مائة مطرقة لضرب الدينار الوافي دون ماهو معد لغير ذلك من صوغ الأقراط والحلي ولأجل هذا لقب بالذهبي لفيظان الذهب في أيامه [1].

[1] أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ص 124 – 125 .

المبحث الثالث : نتائج الحملة

لقد كان من نتائج حملة السلطان السعدي أحمد المنصور الذي إتخذ الجانب الديني كدافع أساسي لتبرير حملته على السودان مايلي :

- قام أحمد المنصور من توسيع رقعة نفوذه حتى شملت مجموع الأراضي الواقعة شمال نهر النيجر ،كما قام بتوطيد نفوذه في الأجزاء القاصية من الصحراء والتي كانت موئلا للثورة والمغضوب عليهم من قبل الدولة كما شملت سيادته مملكة بورنو المتاخمة لحدود السودان الشرقي ،ولم يعمد الأتراك الى الرد بالعنف على هذه السياسة التي سلكها المنصور ،فقد رفضو من قبل مساعدة ملك بورنو على القيام بإخضاع بعض القبائل التي رغبت في الإطاحة بعرشه وقد كانو لايستصوبون الزج بجيوشهم في أماكن قاصية كناحية تشاد ومالي والنيجر .[1]
- إستيلاء المنصور على مناجم الذهب والملح والنحاس باعتبار أن حكام الشرع فيها يقضي بملكية السلطان لها وبذالك حقق ماكان يصبو إلى تحقيقه ،كما أن أمر الإستثمار والنقل والبيع قد شهد تبديلا جوهريا والدليل على ذالك ارتفاع قيمة الذهب بالإضافة إلى تحول المعاملات في الجملة من المقايضة الى التعامل النقدي وهو أمر أثر بكيفية ملموسة على النمو الإقتصادي في السودان ، فذهب السودان لم يكن كله يذهب إلى خزائن السلطان بل كان القسم الأعظم منه يدخل دار السكة في تنبوكتو .
- * إدخال الموازين والمكاييل والمقاييس عل يد المغاربة وقد أدلى ذلك إلى وحدة المعايير السودانية وخضوعها جميعا للدقة المطلوبة في ميدان التجارة والمعاملات الأخرى وإلى كبح الغش والتدليس وإسقاط الوساطات والمزايدات التي كانت إحدى عيوب التجارة السودانية القديمة .[2]

[1] إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 306 .

[2] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 110 .

- تنظيم الأسواق المحلية على شاكلة مايوجد في المغرب الشمالي فبينما كانت الأسواق الكبرى تعقد كلما قدمت قافلة أو همت قافلة بالتوجه إلى الشمال وكانت الأسواق الصغرى عبارة عن إتصالات بين القبائل للمقايضة أصبحت هناك أسواق يومية في كل المدن الكبرى وأسواق أسبوعية في القرى تعقد فيها البيوع على أساس التبايع النقدي بضمانة أكيدة وموثوقة من بيت المال بتنبوكتو .[1]
- أما ما يتعلق بالإستثمار الفلاحي فقد سعى المنصور إلى تنمية الزراعة وتطويرها في بلاد السودان بتحسين وسائل الري واستثمار الأراضي الخصبة [2]. ويقول عبد العزيز الفشتالي عن الحالة التي أصبحت عليها الفلاحةفي بلاد السودان "...فنيل السودان أوفر عمرانا وأكثر أمما فهو يمكن من إقتطاع الخلجان والانهار المغلقة المشبعة المذانب والجداول وأعلى البسائط ...التي تغل ضروب المزارع وتنتظم عليها الجداول الغلب من البساتين ومفروش الشجر والثمار والأدواح الأشبه ملتفة الاغصان والرياض المفوقة الخمائل الموشحة البرود بضروب الزهر الغض والرياحين الانيقة التي يمكن اتصالها فراسخ وبردا فتعفى على واسطة الأقاليم زكاء نبت وكرم تربة وجموم أقوات وحبوب وفواكه جنية قطوفها دانية ...."[3]
- ظهو الصناعة التحويلية والكمالية على نحو لم تعرف له السودان نظيرا من قبل ولقد كان للأعداد الكبيرة من الصناع المهرة الذين صحبهم جوذر معه إلى السودان أو الذين توافدو بعد ذلك إلى البلاد الأثر المحمود في خلق صناعات جديدة وتحسين الصناعات البدائية التي كانت معروفة قبل مجيئ المغاربة إلى بلاد السودان [4]
- وعلى الرغم من توفر بلاد السودان على مزروعات البلاد المدارية إلا أنها لم ترق إلى العمل الذي أنجزه الفلاحون المغاربة والأندلسيون الذين إستطاعوا التحكم في مياه النهر وجرها وقت الفيضان إلى جهات بعيدة ثم إختزانها وراء سدود ترابية للإستفادة منها في فصل الشتاء

[1] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 110- 111 .
[2] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ،ص 172 .
[3] عبد العزيز الفشتالي ، المصدر السابق ، ص 166 – 167 .
[4] محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 111 .

الجاف ،وبالإضافة إلى ماتحقق من تقدم في عهد المغاربة في ميادين تحسين الأنواع ومعالجة التربة واستخدام الوسائل الفعالة في الحرث وفي مقدمتها المحلراث الحديدي [1]

هذا كله مايتعلق بالأثار الإقتصادية أما عن الآثار الفكرية للوجود المغربي بالسودان فتتمثل في :

يعتبر الإسلام العامل الأفضل في نقل اللغة العربية ومختلف علوم الدين إلى أماكن كثيرة من السودان الغربي ولم يكن لجهود الدعاة والوعاظ ولحلقات العلم في الجوامع سوى تعريف السودانيين بالأداب الإسلامية وقواعد الدين وتنظيم المجتمع على أسس جديدة ولم تعرف الشعوب التي أسلمت عنف الصراعات المذهبية التي عرفتها الأندلس والمغرب لأن المذهب الملكي كان منذ عهد المرابطين هو المعتمد بكيفية تكاد تكون شمولية .

ويمكننا أن نتصور ثلاث مراحل عبرت خلالها الثقافة الإسلامية العربية إلى المجتمعات السودنية

المرحلة الأولى :نهض بها الدعاة وسط القبائل والمساجد واستمرت حتى أواسط ا لقرن الرابع عشر ومانتج عنها تعليم سواد الناس والمعاملات والسلوك الديني

المرحلة الثانية :امتازت بتوثيق العلاقات المغربة والمشرقية مع السودان وانتقل خلالها علماء الفقه والحديث وجماعة من المهندسين المعماريين إلى مناطق متباعدة في السودان وادت جهودها إلى إدخال الثقافة العربية والفنون العربية وخلق مدرسة إسلامية سودانية وبصفة خاصة في مجال علوم الدين من فقه وحديث ومسائل ونوازل .

المرحلة الثالثة : تبدأمنذ أواخر القرن السادس عشر وقد وسعت المجالات السابقة وصقلتها وأضافت إلى أغراضها الفكرية مجالات وآفاق تمثلت في فنون أدبية أكثر عمقا وإبداعا كالفلسفة والمنطق والتاريخ وآداب الرحلات والشعر وعليه يمكن القول وبكل اطمئنان بأن المراكز الثقافية والإسلامية في

[1] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 482 .

ذلك الوقت قد حققت نجاحا كبيرا في ربط الفكر الديني العربي بالحضارات الإفريقية بحيث توارد على بلاد السودان عشرات العلماء من المغرب .[1]

وكل هذه النتائج تبدوا لنا إيجابية فهل خلت الحملة المغربية على السودان من المساوئ أم هناك مساوئ ويغفلها المؤرخون .

لقد جاء في كتاب بداية الحكم المغربي في السودان الغربي لمؤلفه محمد الغربي في كلامه عن نتائج الحملة تبدو أنها سلبية أكثر مما هو إيجابي .

فما لحق بعض الأئمة والقضاة والنخبة المفكرة وطلبة العلم أثناء ثورة تنبوكتوا التي قامت في وجه المغاربة بعد وصولهم للسودان قاموا بتهجير أفراد هذه الطبقة إلى المغرب على أسوء الأحوال مع ما وقعت عليه يد الجيش والعامة من كتب وتحف ومتاع وكان من بين المهجرين أحمد بابا التنبوكتي[2] الذي وصف تلك الحادث خير وصف وكذلك عبد الله بن محمود أقيت الذي يعد من أكابر العلماء مع عائلته والمفتي الأكبر محمود الونكري وكان على رأسهم قاضي تنبوكتو عمر آقيت ،وبهذا العمل تم إفراغ السودان من العلماء ونقلهم إلى المغرب .[3]

أي فرح يفرحه المنصور فرح بقتل عباد الله المسلمين والكل يلتقي عند الله تعالى الحكم العدل سبحانه يهنؤونه في قتل أهل الإسلام وأخذ أماولهم وتمليك عيالهم وفرح بذلك وسر سرورا عظيما فلما أطاعه أهل البلاد وتفرقت وإجتمعت الاموال عنده والذخائر والممالك أخذ عنده نصف المحلة وأرسل نصفها مع المال إلى مراكش وبقيت جباية السودان تأتيه في كل سنة إلى أن أتته فيلة [4].

كما سمحت هذه العملية الحربية للمغاربة بالحصول على غنائم كثيرة وصلت إلى مراكش في شكل أحمال جمال من التبر ،إستخدمها المنصور الذي أصبح يلقب بالذهبي في تحسين موانئ العرائش

[1] محمد رزوق ، المرجع السابق ،ص 111 – 112 .

[2] **أحمد بابا التنبوكتي** :ينحدر منعائلة إشتهرت بالعلم والمعرفة كان من بين المعارضين لحملة المنصور على السودان ،ترك أكثر من700 مجلد قبل وفاته سنة 1524 م إشتملت معظم مؤلفاته على الفقه والإفتاء والمسائل النحوية والبلاغة (أنظر : عبد القادر زبادية ، المرجع السابق ، ص 55 .)

[3] محمد الغربي ، المرجع السابق ، ص 133 .

[4] مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص 68 .

وصناعة السكر في واد سوس ، وقد أدى القضاء على سلطنة سنغاي عام 1595 م إلى ظهور ممالك وسلطنات كثيرة متعددة و متنافرة ومتناحرة فيمابينها ،فبعدما تراخت قبضة المغرب على السودان ، بعد نهاية حكم المنصور ساءت الفوضى في هذه الأقاليم .[1]

ومايمكن إستنتاجه من خلال هذا الفصل أن حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان لم تكن لأسباب سياسية وعسكرية ولا حتى دينية وإنما كانت اقتصادية السبب

فلم تكن دينية لأن أحمد المنصور لم يوجه ضمن حملته أشخاصا مؤهلين للقيام بالدعوة الإسلامية وهذا ما يؤكد عدم اهتمامه بنشر الإسلام ،وأكثر من ذلك فإن الحملة لم تتوفر على أئمة ووعاظ للجيش نفسه من بين الاف الخبراء الذين رافقوها ،فالحملة تشكلت من القادة وكلهم أجانب [2].

ضف إلى ذلك أن أحمد المنصور لما توسع جنوبا في بلاد السودان واكتساب الصحراء متخذا الجهاد سببا لقطع الطريق أمام القوى البرتغالية والإسبانية التي بدأت التدخل والسيطرة على إفريقيا لكن هدفه من وراء هذه الحملة هو استغلال خيرات بلاد السودان وأهمها الذهب الذي سمي به فيما بعد وماساعده على ذلك استيلائه على منطقتي توات وتيكورارين .

وعليه تعتبر هذه الحملة غزوا واضحا وليس فتحا كما يدعيه المؤرخين خاصة منهم المغاربة و خرقا سافرا للشريعة الإسلامية فكيف للمنصور أن يحارب بجيوشه المسلمة مسلمين آخرين وتغافل على تحرير الثغور المغربية المحتلة من طرف الإسبان والأدهى والأمر أن علماء الظاهر عديمي البصائر والأمناء بغير حقيقة يهنئونه قتال أهل الإسلام وأخذ أموالهم وتمليك عيالهم وأولادهم .

[1] جلال يحي ،**تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر** ، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ، 1999 ، ص 120- 121 .
[2] محمد الغربي ،المرجع السابق ، ص 131 .

الخاتمة

الخـــــاتــمة :

وفي ختام هذه الدراسة المتعلقة بحملة السلطان المغربي أحمد المنصور الذهبي على السودان

توصلت إلى عدة نتائج يمكن حصرها :

أن معركة وادي المخازن سنة 1578 م والذي كان النصر فيها حليفا للمغرب كانت سببا في وصول السلطان أحمد المنصورالذهبي الى الحكم ، كما أنها عززت من مكانة المغرب الدولية، حيث سارعت القوى الأوربية لكسب وده والتعامل معه بنية كأحد القوى المؤثرة في منطقة الشمال ف الإفريقي في الثلث الأخير من القرن العشر للهجرة / السادس عشر ميلادي .

أما فيما يخص شخصية السلطان أحمد المنصور وإصلاحاته السياسية والعسكرية ، فلقد إستطاع أحمد المنصور بفضل حزمه وانضباطه وحسن بصيرته من ضبط البلاد ونشر الطمأنينة بها .

فسكن زعازع هوله أولا واقتلع جرثومة أهل البغي والشقاق ثانيا من أجناده واستأصل شافه الخوارج والثوار على الدولة ثالثا .

وطاب الجنى وذرت أخلاف الجباية فامتلأت بيوت المال وغصت بالحبوب مخازن الأقوات ثم جاء نصر الله فذرت الفتوح واتسع نطاق الملك وبلغت الدولة أشرف نصابها.

كما قام أحمد المنصور بتنظيم الجيش السعدي والاهتمام به على غرار سابقيه وفي المجال السياسي استحدث جميع ألقاب الخلافة وشاراتها وهذا بعثا وتجديدا للخلافة الهاشمية المنقرضة وأحقية العرب بخلافة المسلمين قبل الأتراك.

وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجة للدولة السعدية فإن توجيه العلاقات السياسية للمغرب سواء مع الدول الأوربية أو الدولة العثمانية كانت بيد السلطان أحمد المنصور السعدي الذي كان دبلوماسيا بارعا حيث تعامل بذكاء وحنكة سياسية في علاقته وتعامله مع الدول ،فاقت سابقيه ومن جاء بعده فالمولى إسماعيل كان وافيا أمام وعوده الخارجية ، بينما تميزت سياسة أحمد المنصور بالمماطلة

والتسويف والمهادنة ، وهذا ما لمسناه في علاقاته مع إسبانيا وقضية تسليم العرائش الذي إعتمدها كخطة سياسية .

أما فيما يخص دوافع حملة أحمد المنصور الذهبي على السودان ورغم تعدد الأسباب إلا أنه يبقى السبب الأول والوحيد ،هو الدافع الاقتصادي الذي كان من أولويات السلطان أحمد المنصور وهو نهب خيرات بلاد السودان لأن هذه الأخيرة تزخر بالعديد من الثروات كالملح والذهب على سبيل المثال ضف إلى ذالك أنه عمل على توسع رقعة بلاده واستظهار قوة جيشه ,

وعموما فرغم الظروف الصعبة التي أحاطت بأحمد المنصور الذهبي سواء ظغوطات أوربية خاصة إسبانيا وإنجلترا والصراع المحتدم بينهما حول ميناء العرائش أو عثمانية جزائرية لضم المغرب للخلافة العثمانية وكذلك كثرة الثوارات الداخلية .

إلا أنه إستطاع وبقوة الحفاظ على إستقلال المغرب وسلطته وغزو السودان والتذخر منه إلى غاية وفاته سنة (1012هـ / 1603 م) .

الملاحق

الملحق رقم : 01

قصر البديع الذي بناه السلطان أحمد المنصور

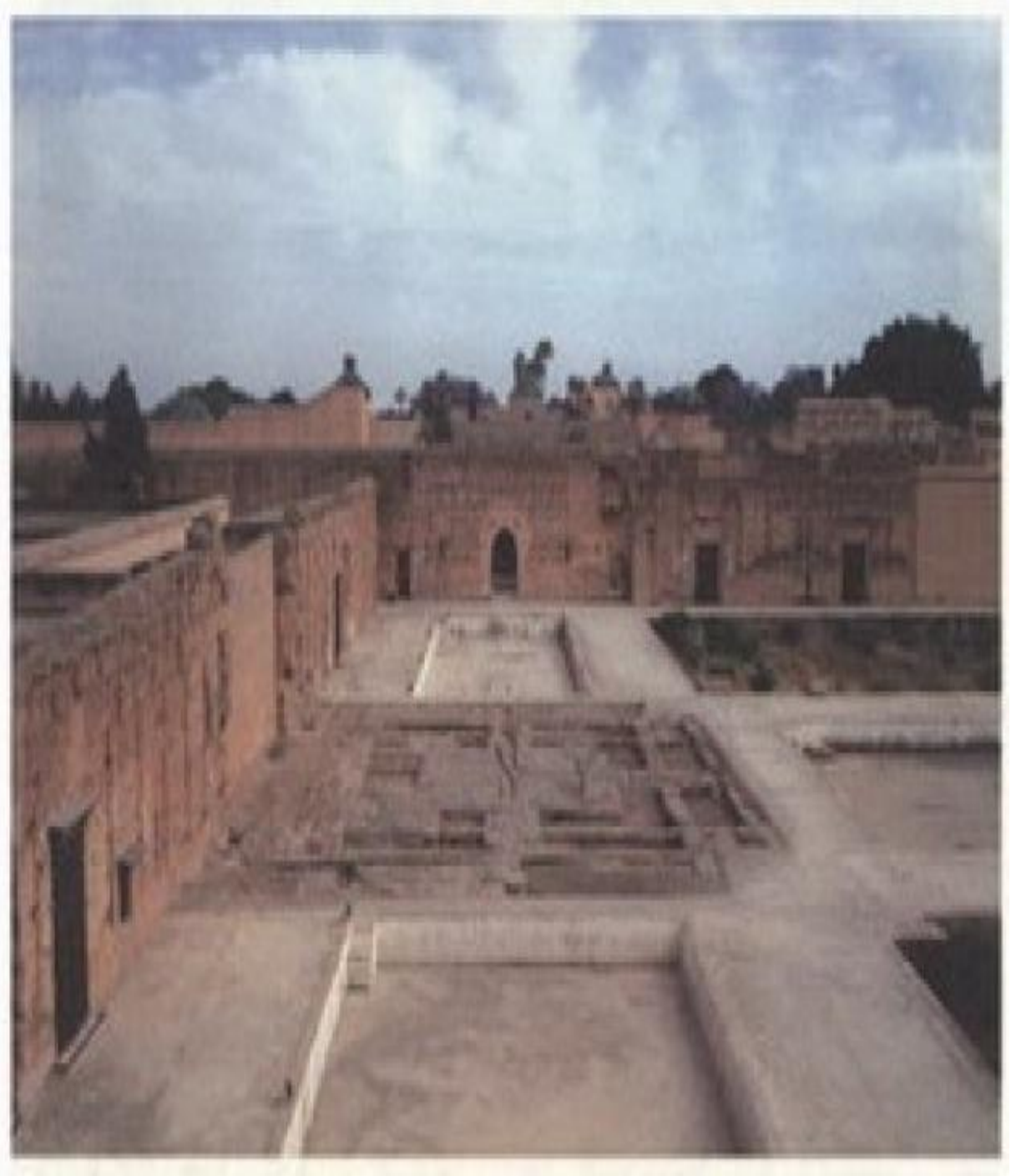

[1]

[1] محمد قبلي، **تاريخ المغرب**، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط ، 2011، ص 383.

الملحق رقم : 02

أول رسالة بعث بها السلطان أحمد المنصور الى الملك الاسباني فيليب الثاني

[1]

[1] عبد الكريم كريم ، المرجع السابق ، ص351.

الملحق رقم : 03

نص جواب السلطان أحمد المنصور على رسالة الملكة إليزابيت بشأن تقديم الدعم للدون أنطونيو

من عبد الله تعالى المجاهد في سبيله الإمام بالله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين الشريف الحسني أيد الله بعزيز نصره أوامره ،وظفر عساكره وخلد مآثره ومفاخره ووصل له مجد الدنيا بمجد الآخرة إلى الأصالة الراسخة القدم ، السامية المنار والعلم ،أ صالة السلطانة الأصيلة المثيلة الأثيرة الخطيرة الشهيرة صاحبة أنكلطيرة السلطانة إيزابيل ، أما بعد :

حمدالله مؤيد من توكل عليه ،ولجأ في الأحوال إليه والصلاة والسلام على رسوله المؤيد بالأيات الظاهرة والرايات الظافرة ،والرضى عن آله الأئمة الأعلام عماد الأنام وخلفاء الإسلام وفخر الليالي والأيام وعن أصحابه الذين عزروه ونصروه بالسنان والحسام ومواصلة الدعاء لعلي هذا المقام الكريم الإمامي المنصوري الأحمدي الحسني بالنصر المتكفل لمن والاه بزيد الظهور ولمن ناواه بالتعس والتبور ، فكتابنا هذا إليكم من حضرتنا العلية بمراكش حاطها الله ونصر الله تعالى خفاق اللواء وبركة هذا الأمر العزيز المؤيد بجنود الأرض والسماء كفيلة بعز الأولياء وذل الأعداء بعز الله تعالى وقدرته ،هذا وإن اتصل بمقامنا العلي كتابكم الواصل صحبة رسولكم المكرم القبطان إير فتلقينا بالرحب وروده وقابلنا بوجه المبرة والإكرام وفوده ووقفنا منه على ما ذكرتموه الله عن السلطان دون أنطونيوا يسرالله مراده وقرن بالنجح إصداره وإيراده من أنه ذكر لكم أننا قد وعدناه بتجهيز رسول من قبل مقامنا العلي يكون معتبرا[1]

ليقف حتى يبلغ إليه المال الذي طلب منا إمداده على وجه السلف وإلى هذا وصل الله إكرامكم يحيط بعلمكم أننا كنا لاشك وعدنا رسول السلطان دون أنطونيوا ن الذي هنا بحضرتنا الشريفة بأنكم إذا مددتموه أنتم لهذا العام بما يطلب منكم من العساكر والأجناد

[1] عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ص 196 .

الملحق رقم : 03

نص جواب السلطان أحمد المنصور على رسالة الملكة إليزابيت بشأن تقديم الدعم للدون أنطونيو

وقمتم بنصرته لذلك على ساق الجد والاجتهاد نبعث تجاهكم رسولا من قبل مقامنا العلي ووافانا رسولكم الواصل (ونحن؟) في حال الأهبة والاحتفال بهذه الحركة السعيدة التي أخذنا في تجهيزها إن شاء الله إلى جهة السودان وهي على قدم السفر بحول الله في هذه الأيام القريبة من تاريخه وبحسبه قبضنا رسولكم القبطان المذكور أكرمه الله على وجه العز والكرامة بينما نفرغ إن شاء الله من تجهيز هذه الحركة السعيدة عن قريب وننصرف بسلامة إلى قصدها وسبيلها فنلتفت إليه حينئذ إن شاء الله في أغراضكم وأغراض السلطان دون أنطوان ،ولكن بودنا أن تكتبوا لنا وتعرفونا بما عندكم في هذا الأمر وأي وقت عزمتم عليه لنكون على بصيرة فإننا وإياكم في هذا الأمر واحد ، وبه وجب الكتب إليكم في يوم الجمعة تاسع عشر شعبان المكرم تاسع عشر شعبان المكرم عام ثمانية وتسعين وتسعمائة [1]

[1] عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ،ص 198 .

الملحق رقم : 04

رسالة السلطان العثماني مراد الثالث إلى المنصور يعرض فيها التعاون فيما بينهما ضد أعداء الإسلام :

ملحق رقم (1)
رسالة السلطان العثماني مراد الثالث الى السلطان السعدي احمد المنصور
التي يعرض فيها التعاون بين هذا الاخير .
xxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxxx

هو المعين . هذا كتابنا الشريف العالي ، السلطاني ، وخطابنا المنيف ، الخاقاني ، لازال نافذا ، محفوظا من التحريف بالعون الرباني . اصدرناه وأرسلناه منطويا على [illegible] ما أسلف أسلافنا من اتحاد تحق تحية زكية في بحر الوداد ، واهداء هدية [illegible] تحية من بحر الاتحاد الى جناب العالي ، الاميري ، الكبيري ، المولوي ، الهمامي [illegible] النسبي ، نسل السلالة الهاشمية ، فرع الشجرة الزكية ، النبوية ، طراز العصابة العلوية [illegible] المسلمين ، ظهير جيوش المجاهدين ، المحفوف بصنوف عواطف الملك المعين ، سيد الملوك والسلاطين ، بن خاتم النبيين ، الشريف مولاي احمد ، بن الشريف ، مولاي [illegible] [illegible] دام سعده وعلاه محفوفا بصنوف [illegible] الناس .

ينهي اليه ويوضح مضمون ما اندرج فيه ، وبحرره ويقتضي مكنون ما اندرج في مطاويه [illegible] الله تعالى عز شأنه عما يقولون علوا كبيرا ، بمقتضى حكمته البالغة ، ما اضمر في مكامن [illegible] المتين ، [illegible] نوع الانسان من بين سائر الانواع ، أن يكون مدنيا بالطبع ، محتاجا في [illegible] الى التعاون والاجتماع ، وجعل نظام التعاون بينهم مربوطا بالتعادل الذي اتفق [illegible] جميع الاوضاع ، ليندفع التنازع فيما تقتضيه النفوس ويندفع النزاع .

ارسل من عنده عبده ورسوله سيد الانبياء ، وارسل ليبين لهم مناهج الدين ، واقوام السبيل . [illegible] امته خلفاء ، الراشدين ، رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . ثم جعل كلا من [illegible] السلاطين اهل الاسلام والمسلمين ، عضد الملة والدين . [illegible] سلسلة الانتظام الى هذا الحين [illegible] الله ذلك النظام أبد الآبدين ، [illegible] ، وايام من تلك الزمرة ، وأتانا من لدنه سلطانا [illegible] وبشرنا بذكرنا وذكر اسمكم الشريف [illegible] جهرا وسريرا . وسلم الينا من عنده التسليم ، [illegible] لدانه العميم مقاليد جمهور الامور ، وأجرى احكامنا واحكامكم [illegible] ، متضمنة [illegible] الامور الجمهور .

[illegible] بأمره الى مبايعتنا بالسلطانة الزاهرة ومتابعتنا بالخلافة الباهرة جميع ائمة الدين [illegible] والعلماء العلامة ، وجماهير ارباب العقد والحل ، من الولاة والحكام ، وكل من سار وداره [illegible] في المدائن والامصار ، من ممالك الشرق والغرب ، وممالك السلم والحرب .

[illegible] ابوابنا العالية الاحتياب ، من جهة المعاهدات والمصادقات ، على وجوه الاعادي والاحباب [illegible] متابعة اسلافنا الطاهرة ، والدين جمعوا باصلاح ذات البين ، بين خيري الدنيا والآخرة [illegible] من يكن على الرشد والسواد ، خصوصا من التي اليه اذا مات السيد . ومن مؤمن [illegible] التي تذل الرق والعبيد .

فلما وصل بمسامعنا الشريفة ومشاعرنا الخاقانية العلية [illegible] على [illegible] [illegible] والاعتقاد وانه لكم جاره وعدو [illegible]

[illegible]

والله تعالى لا يخلي الى [illegible] ان شاء الله تعالى .

[illegible]

والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، [illegible] (1)
[illegible] ثمانية وثمانين وتسعمائة . [illegible] بقسطنطينية المحروسة

---

[1] عمار بن خروف ، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923– 1069 /1517– 1659** ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ ،قسم التاريخ ، جامعة أم القرى دمشق ، 1983 م ، ص 408- 409 .

الملحق رقم : 05

خريطة 22 – حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي إلى بلاد السودان (1590 – 1591)

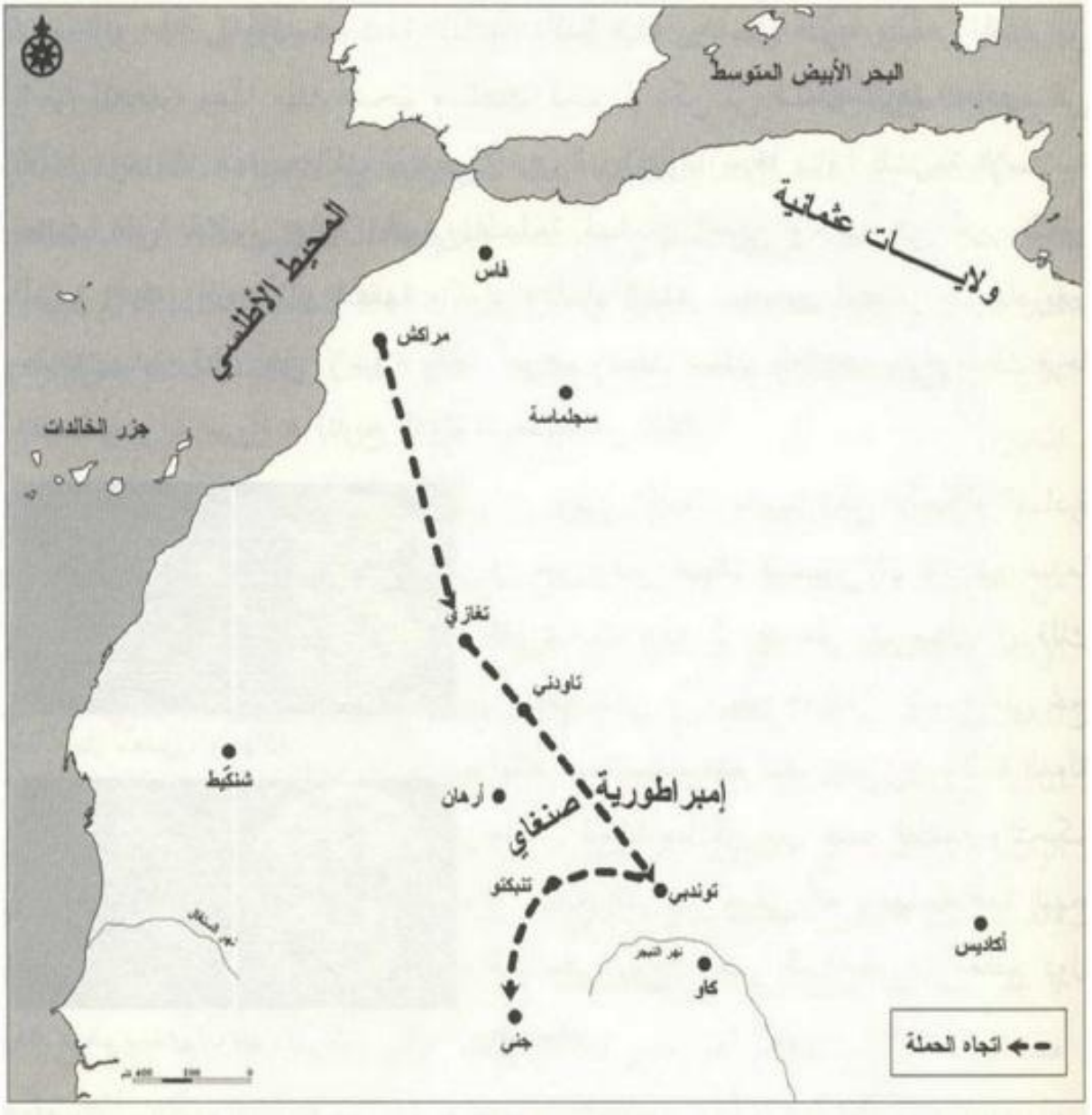

[1]

[1] محمد قبلي ،المرجع السابق ، ص389.

الملحق رقم : 06

الملوك الذين عاصروا السلطان أحمد المنصور

الدولة	الحاكم	فترة حكمه
إسبانيا	فيليب الثاني فيليب الثالث	1556 / 1598 م 1598 / 1621 م
إنجلترا	إليزابيت الأولى	1558 / 1603 م
البرتغال	الكاردينال هنري فيليب الثاني فيليب الثالث	1578 / 1580 م [1] 1581 / 1598 م 1598 / 1621 م
فرنسا	هنري الثالث هنري الرابع	1574 / 1598 م 1589 / 1610 م
الدولة العثمانية	مراد الثالث محمد خان الثالث	1574 / 1594 م [2] 1594 / 1603
السودان	إسحاق بن داود أسكيا	1588 / 1591 م

[1] يوسف نكروف ، **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة** ، تع : وفاء موسى وحسين حيدر ، ط 1 ، منشورات عويدات ، بيروت ، (د ، ت) ، ص 76 .

[2] إبراهيم بك حليم ، **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ، ظ 1 ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، 1988 م، ص ص 103 – 108 .

البيبليوغرافيا

البيبـــــــــــــليوغـــــــــــــرافيا

قائمة المصادر :

القرآن الكريم ، رواية ورش عن نافع .

المصادر العربية

1) ابن القاضي أحمد ،**المنتقى القصور على مآثر الخليفة المنصور** ،ج1،تح:محمد رزوق ،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1986.

2) *الأفراني محمد الصغير ،**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي** ،تح :عبد اللطيف الشاذلي ،ط1،مطبعة النجاح ،الدار البيضاء ،1998م .*

3) التمكروتي علي بن محمد ،**النفخة المسكية في السفارة التركية** ، تر: عبد اللطيف الشاذلي ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 2002 م .

4) السعدي عبد الرحمان ، **تاريخ السودان** ،تح : هوداس ، مطبعة برين ، باريس ،1981.

5) الفشتالي عبد العزيز ،**مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء** ،تح :عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافية ،الرباط ،(د،ت) .

6) مجهول ،**تاريخ الدولة السعدية التكمدراتية** ،تح :عبد الرحيم بنحادة ، ط1 ، عيون المقالات ، مراكش ، 1994م.

7) الناصري أحمد بن خالد ،**الإستقصاء لدول المغرب الأقصى :الدولة السعدية** ،ج5،تح :جعفر الناصري ومحمد الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1955م

المصادر المعربة:

1. سبنسر وليام ، **الجزائر في عهد رياس البحر** ،تر : عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، 2006 .

2. كاربخال ما رمول ،**إفريقيا** ،ج 2 ، تر: محمد حجي وآخرون ، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، الرباط ، 1984 م .

المراجع العربية :

1) ا لجمل عطاءالله ، **المغرب العربي الكبير في العصر الحديث** (ليبيا ،تونس ، الجزائر ، المغرب ،) ،ط1 ،الأنجلو مصرية ، القاهرة، 1977 م .

2) الأرقش ليندا و آخرون ، **المغرب العربي الحديث من خلال مصادره** ، مركز النشر الجامعي ، مدياكوم ،2003 .

3) بن خروف عمار ،**العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب** في القرن العاشر للهجرة والسادس عشر ميلادي ،دار الأمل ، الجزائر ،2006 م.

4) التازي عبد الهادي ، **التاريخ الدبلوماسي للمفرب من أقدم العصور إلى اليوم** ،مج 08 ،مطابع فضالة ، المغرب ، 1986 م.

5) حجي محمد ،**الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ،ج2 ،منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،المغرب ،1978 .

6) حركات إبراهيم ،**المغرب عبر التاريخ من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين** ،مج2،ط1،دار الرشاد الحديثة ،المغرب،1978م.

7) حليم بك إبراهيم ، **تاريخ الدولة العثمانية العلية** ، ظ 1 ، مؤسسةالكتب الثقافية ، بيروت ، 1988 م .

8) رزوق محمد ، **دراسات في تاريخ المغرب** ،ط1 ،إفريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،المغرب ،1991 م

9) زبادية عبد القادر ، **مملكة سنغاي في عهد الأسقيين 1493 م – 1591م** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، (د. ت) .

10) علي عامر محمود ومحمد خير فارس، **تاريخ المغرب العربي الحديث** (المغرب الأقصى ،ليبية)،ج1، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق ،(د، ت) .

11) الغربي محمد ، **بداية الحكم المغربي في السودان الغربي** ،مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ،العراق ،1982 م .

12) القبلي محمد ،**تاريخ المغرب** ، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ، الرباط ، 2011

13) كريم عبد الكريم ، **المغرب في عهد الدولة السعدية** :دراسات تحليلية لأهم التطورات السياسية والمظاهر الحضارية ،ط3 ، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة ، الرباط ، 2006 .

14) المريني عبد الحق ، **الجيش المغربي عبر التاريخ** (جائزة المغرب سنة 1989 م) ط05 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، م1997 .

15) الميلي المبارك ،**تاريخ الجزائر القديم والحديث** ، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية ، الجزائر ،(د.ت).

16) هريدي أحمد صلاح ،**تاريخ أوربا الحديث** ، دار الوفاء ، مصر ، 2000.

17) يحي جلال ،**تاريخ إفريقية الحديث والمعاصر** ، المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ، 1999 م

المراجع المعربة :

1) روجرز.ب.ج ، **تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى عام 1900** م ، ط1 ،تر :يونان لبيب رزق ،الدار البيضاء ، المغرب ، 1981 م .

2) الكسندر نبيل وولينا فناد ،**الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية** ، تر: محمد ابراهيم ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 1999 م.

3) لويس بونارد ،**اسطنبول وحضارة الخلافة الإسلامية** ، تر : سيد رضوان علي ،ط2 ،الدار السعودية للنشر والتوزيع ، الرياض ،1982 م .

4) نكروف يوسف ، **معركة وادي المخازن بين الملوك الثلاثة** ، تع : وفاء موسى وحسين حيدر ، ط 1 ، منشورات عويدات ، بيروت ، (د ، ت) .

الموسوعات :

1) العفيفي عبد الحكيم ، **موسوعة 1000 مدينة إسلامية** ، ط1 ، أوراق شرقية ، لبنان ، 2000م.

2) مقلد غنيمي عبد الفتاح، **موسوعة المغرب العربي**،ج6 ،مكتبة مدبولي،القاهرة، 1994 م.

الدوريات :

1) جادور محمد ، **دبلوماسية أحمد المنصور من خلال تقاييد أسير برتغالي** ، ج4 ،مجلة المؤرخ ،المغرب ،2009 م

المذكرات :

1) بن خروف عمار ، **العلاقات بين الجزائر والمغرب 923-1069 /1517-1659** ، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ ،قسم التاريخ ، جامعة دمشق ، سوريا ، 1983 م

2) بن قومار جلول ،**معركة وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوربا (البرتغال –إسبانيا فرنسا)** ،986هـ1578-م/1012هـ - 1603 ،أطروحة ماجستير في التارخ الحديث ، المركز الجامعي بغرداية ، الجزائر ، 2011 م .

3) داودي داود ، **العلاقات التجارية بين المغرب الأقصى والدول غرب أوربا المتوسطية خلال القرن العاشر للهجرة /السادس عشر ميلادي** ، أطروحة ماجيستير في التاريخ الحديث ، جامعة غرداية ، الجزائر ، 2013 .

4) زيوان سمية و خنشة صباح ، **العلاقات الخارجية للدولة السعدية (القرن 10هـ/ 16م)** ، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث والمعاصر ، جامعة الأغواط ، الجزائر ، 2015 .

فهرس الموضوعات

الفـــــهـــــرس

محتوى الموضوع	الصفحة
البسملة	
الإهداء	
الشكر	
مقدمة	أ - ج
الفصل الأول :شخصية أحمد المنصور وإصلاحاته السياسية والعسكرية	7 – 22
المبحث الأول : شخصية أحمد المنصور	7 – 10
المبحث الثاني : الإصلاحات السياسية	11 – 16
المبحث الثالث : الإصلاحات العسكرية	17 – 22
الفصل الثاني :العلاقات الخارجية للدولة السعدية في عهدالسلطان أحمد المنصور	24 – 38
المبحث الأول : العلاقات السعدية الأوربية	24 –31
المبحث الثاني : العلاقات السعدية مع الخلافة العثمانية	32 – 36
المبحث الثالث : العلاقات مع السودان الغربي	37 – 38
الفصل الثالث : حملة السلطان أحمد المنصور الذهبي على بلاد السودان	40 – 63
المبحث الأول : عوامل الحملة	42 – 47
1/ العامل السياسي	42 – 45
2 / العامل الإقتصادي	45 – 46
3 / العامل العسكري	47
المبحث الثاني : مراحل الحملة	48 – 58
1 / المناوشات الأولى حول الملح	48
2 / مبايعة ملك بورنو	49 – 50
3/ اتصال ثائر من بلاد السودان بالمنصور	50 – 52

4 الحملات على بلاد السودان 58 – 52
المبحث الثالث : نتائج الحملة 63 – 59
الخاتمة 66 – 65
الملاحق 74 – 68
البيبليوغرافيا 80 – 76